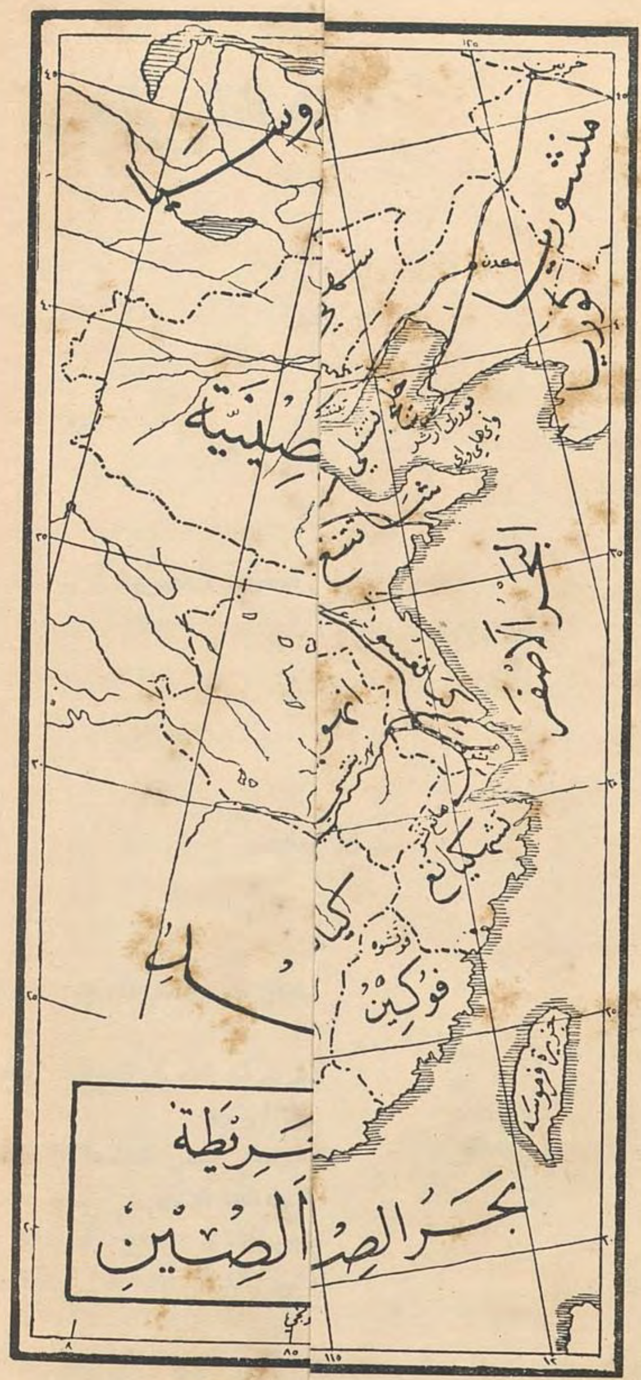
منشوريا
كوريا
خربين
الصينية
البحر الأصفر
فوكين
جزيرة فرموسة
ريطة
بحر الصين

المقتطف

الجزء السادس من المجلد التاسع والثلاثين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩١١ — الموافق ١٠ ذي الحجة سنة ١٣٢٩

الصين وثورتها

اهم حوادث الصيف الماضي بل اهم حوادث الشرق كلهِ ثورة اهالي الصين على امَّة المنشو التي استولت عليهم منذ ٢٦٧ سنة فانهم اذا تغلَّبوا عليها وانشأوا حكومة جمهورية او اذا تغلَّبت عليهم وجعلت الحكومة دستورية كما وعدت فاما ان تنهض الصين وتقتفي خطوات اليابان فيتغير مسير الشرق كلهِ لان سكانها اكثر من سكان اوربا كلها . واما ان تنقسم ممالك تتخاذل وتتحارب فتزيد ضعفاً على ضعف ويتسع المجال لليابان ولممالك اوربا حتى تستولي عليها . وقد رأينا ان نورد الفصول التالية في وصفها وتاريخها واحوالها الاجتماعية والسياسية لكي يلم القارئ بما يسمعهُ من اخبارها وحوادثها

جغرافية الصين

تشمل مملكة الصين ما يسمَّى بالصين الاصلية ومنشوريا ومنغوليا وتبت وسن كيان (اي تركستان الشرقية وزنغاريا وكل الولايات الخاضعة للصين بين منغوليا شمالاً وتبت جنوباً) . فهي اكبر من اوربا كلها فان مساحتها تبلغ نحو اربعة ملايين و٢٧٧ الفاً من الاميال المربعة ومساحة اوربا لا تزيد على ثلاثة ملايين و ٨٠٠ الف ميل

يحدها من الشمال روسيا في اسيا ومن الشرق كوريا والبحر الاصفر وبحر الصين وهما فرعان من الاوقيانوس الباسيفيكي . ومن الجنوب والجنوب الغربي بحر الصين والصين الهندية التابعة لفرنسا وبلاد برما العليا وولايات حملايا

طولها الاطول من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ٣١٠٠ ميل وعرضها من الشمال الى الجنوب اكثر من ١٨٠٠ ميل وطول ساحلها البحري نحو ٥٠٠٠ ميل . وهاك مساحة كل

قسم من اقسامها مع عدد سكانهِ على ما في الاحصاء الصيني الاخير

البلاد	مساحتها بالميل المربع	عدد سكانها
الصين الاصلية	١ ٥٣٢ ٤٢٠	٤٠٧ ٢٥٣ ٠٣٠
منشوريا	٣٦٣ ٦١٠	١٦ ٠٠٠ ٠٠٠
منغوليا	١ ٣٦٧ ٦٠٠	٢ ٦٠٠ ٠٠٠
تبت	٤٦٣ ٢٠٠	٦ ٥٠٠ ٠٠٠
تركستان الشرقية الخ	٥٥٠ ٣٤٠	١ ٢٠٠ ٠٠٠
المجموع	٤ ٢٧٧ ١٧٠	٤٣٣ ٥٥٣ ٠٣٠

والصين الاصلية مقسومة الى ثماني عشرة ولاية بعضها كبير كثير السكان يفوق في عدد سكانهِ اعظم مملكة من ممالك اوربا ما عدا روسيا مثل ولاية زيشوان فان مساحتها ٢١٨٤٨٠ ميلاً مربعاً اي اكبر من مساحة المانيا بنحو عشرة الاف ميل وعدد سكانها ٦٨ ٧٢٤ ٨٩٠ اي اكثر من سكان المانيا بنحو اربعة ملايين نفس. ومتوسط عدد السكان في الميل المربع منها ٣١٤ وفي الميل المربع من المانيا ٣١٠ انفس. وبعضها صغير مثل ولاية كونغسي فان مساحتها ٧٧ ٢٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٥ ١٤٢ ٣٣٠. وهاك جدول هذه الولايات وعدد سكانها واسماء عواصمها

اسم الولاية	مساحتها اميالاً	عدد سكانها	عاصمتها
شهلي	١١٥ ٨٠٠	٢٠ ٩٣٧ ٠٠٠	باوتنفو
شانتنغ	٥٥ ٩٧٠	٣٨ ٢٤٧ ٠٠٠	شي نان
شانسي	٨١ ٨٣٠	١٢ ٢٠٠ ٤٥٦	تاي يوان
هُنان	٦٧ ٩٤٠	٣٥ ٣١٦ ٨٠٠	كاي فنغ
كيانغسو	٣٨ ٦٠٠	١٣ ٩٨٠ ٢٣٥	سوتشو
انهوي	٥٤ ٨١٠	٢٣ ٦٧٠ ٣١٤	انتشنغ
كيانغسي	٦٩ ٤٨٠	٢٦ ٥٣٢ ١٢٥	نان تشانغ
تشهكيانغ	٣٦ ٦٧٠	١١ ٥٨٠ ٦٩٢	هانغ تشو
فوكين	٤٦ ٣٢٠	٢٢ ٨٧٦ ٥٤٠	فوتشو
هوبه	٧١ ٤١٠	٣٥ ٢٨٠ ٦٨٥	وتشانغ
هونان	٨٣ ٣٨٠	٢٢ ١٦٩ ٦٧٣	تشانغ شا

شنسي	٧٥ ٢٧٠	٨ ٤٥٠ ١٨٢	هسي ان
كانسو	١٢٥ ٤٥٠	١٠ ٣٨٥ ٣٧٦	لان تشو
زيشوان	٢١٨ ٤٨٠	٦٨ ٧٢٤ ٨٩٠	تشنغ تو
كونغتنغ	٩٩ ٩٧٠	٣١ ٨٦٥ ٢٥١	كنتون
كونغسي	٧٧ ٢٠٠	٥ ١٤٢ ٣٣٠	كويلن
كويتشو	٦٧ ١٦٠	٧ ٦٥٠ ٢٨٢	كوي يانغ
يونان	١٤٦ ٦٨٠	١٢ ٣٢٤ ٥٧٤	يونانفو
المجموع	١ ٥٣٢ ٤٢٠	٤٠٧ ٣٥٣ ٠٢٩	

وعاصمة المملكة كلها بكين في ولاية شهلي ووالي شهلي لا يقيم الآن في عاصمة تلك الولاية بل في مدينة تينتسن

ويظهر من الجدول السابق ان بعض الولايات مزدحم بالسكان اشد الازدحام كولاية شانتنغ فان عدد السكان في الميل المربع منها ٦٨٣ وولاية هُنان فان عدد السكان في الميل المربع منها ٥٢٠ . وبعضها قليل الازدحام كولاية كانسو فان عدد السكان في الميل المربع منها ٨٢ نفساً فقط . ومتوسط عدد السكان في البلاد كلها ٢٦٦ نفساً في الميل المربع وهو عدد معتدل لكن البلاد التابعة للصين كتبت ومنغوليا ومنشوريا وتركستان واسعة جدًّا على مَن فيها من السكان فاذا انشئت فيها سكك الحديد وسهلت المواصلات وسعت اضعاف سكانها الحاليين بل اضعاف سكان الصين كلهم

انهارها وترعها

في بلاد الصين كثير من الانهار والترع منها نهر هوانغهو او النهر الاصفر وطولهُ ٢٤٠٠ ميل ويقال في تواريخ الصين انهُ غيَّر مجراهُ تسع مرات في ٢٥٠٠ سنة وتنقَّل مصبهُ بين الدرجة ٣٩ من العرض الشمالي والدرجة ٣٤ وهو قليل الاستعمال في الملاحة ويغمر البلاد التي حولهُ بفيضانهِ فلم تبنَ على ضفتيهِ مدن كبيرة . واشهر منهُ نهر ينغتسي وهو اعظم طرق الملاحة في بلاد الصين يجري في وسط البلاد مسافة ٢٩٠٠ ميل ويصبُّ في البحر الاصفر حيث العرض ٣١° شمالاً وعلى ضفتيهِ كثير من المدن العامرة الكثيرة السكان مثل فنكنغ وعدد سكانها ٢٦٧ الفاً وهنكو وعدد سكانها ٨٢٠ الفاً . وتجري فيهِ السفن البخارية الكبيرة من مصبهِ الى الف ميل فوقهُ . وفوق ذلك لا تجري الا السفن الصغيرة لكثرة ما فيهِ من الجنادل ثم ينبسط في سهول زيشوان وتصير الملاحة سهلة فيهِ . ومن نواصرهِ نهر هان وهو ضيق عند

مصبهِ في نهر ينغتسي لا يزيد اتساعهُ على ٢٠٠ قدم ثم يتسع رويداً رويداً حتى يبلغ اتساعهُ ٢٦٠٠ قدم وتجري السفن البخارية فيهِ مسافة ٣٠٠ ميل . وهو يفيض مثل النيل فيبلغ ارتفاع الماء فيهِ زمن الفيضان ٢٦ قدماً فوق ارتفاعهِ زمن التحاريق . وقد صنع لهُ الصينيون جسرين (رصيفين) على ضفتيهِ كجسري النيل

وبين هذين النهرين الكبيرين اي الينغتسي والهوانغهو نهر ثالث اصغر منهما طولهُ ٨٠٠ ميل وهو صالح للملاحة ايضاً

ومن انهر الصين ايضاً نهر بيهو طولهُ ٣٥٠ ميلاً وهو يجري قرب بكين وتسير فيهِ السفن البخارية الى مدينة تينتسين لكنهُ يجلد من اواخر نوفمبر الى اوائل مارس

وفي الولايات الجنوبية انهر قليلة اكبرها سيكيانغ او النهر الغربي طولهُ الف ميل وهو من اكبر الانهار يكون عرضهُ غالباً خمسة آلاف قدم او اكثر وعند مصبهِ جزيرة هنغ كنغ التي استولت عليها انكلترا . والسفن البخارية الكبيرة تجري فيهِ مسافة ١٣٠ ميلاً

وفي الصين ترعة كبيرة للملاحة اسمها ين هو طولها نحو ١٢٠٠ ميل وهي تصل بين مدينة هانغ تشو عاصمة تشهكيانغ ومدينة تينتسين بالقرب من بكين وجانب كبير من هذه الترعة مرصوف بالحجارة على ضفتيهِ وعليها كباري (جسور) كبيرة من الحجر متقنة الصنعة وقناطر عالية وهياكل شاهقة

وقد انشئَ بعض هذه الترعة قبل التاريخ المسيحي بنحو خمس مئة سنة وانشئَ البعض الآخر بعدهُ في ازمنة مختلفة وهي دليل قاطع على قدم عمران الصين واتصالهِ مدة قرون كثيرة مترامية ولعلها اعظم اعمال البشر

السور العظيم

ممَّا اشتهرت بهِ بلاد الصين من قديم الزمان سورها العظيم وهو ممتد من اقصى الشمال الشرقي في الصين الاصلية الى اقصى الشمال الغربي بناهُ الصينيون لرد غارات التتار وغيرهم من الغزاة . شرعوا في بنائهِ في القرن الثالث من التاريخ المسيحي ورمَّموهُ في القرن الخامس عشر . طولهُ ١٥٠٠ ميل وهو يبتدئ من شاطئ البحر في الشمال الشرقي حيث الحد الفاصل بين الصين ومنشوريا ويتجاوز جانباً كبيراً من ولاية شهلي اي الجانب الجبلي القليل السكان ثم يعطف حول بكين ويتفرَّع هناك الى فرعين كبيرين ينفرجان ثم يلتقيان بعد اكثر من مئتين وخمسين ميلاً ويتعرَّج بعد ذلك في سيرهِ غرباً فينحدر جنوباً ويصعد شمالاً وينحني شرقاً ثم يسير غرباً الى ان يبلغ حدود تركستان . وارتفاعهُ من عشرين قدماً الى

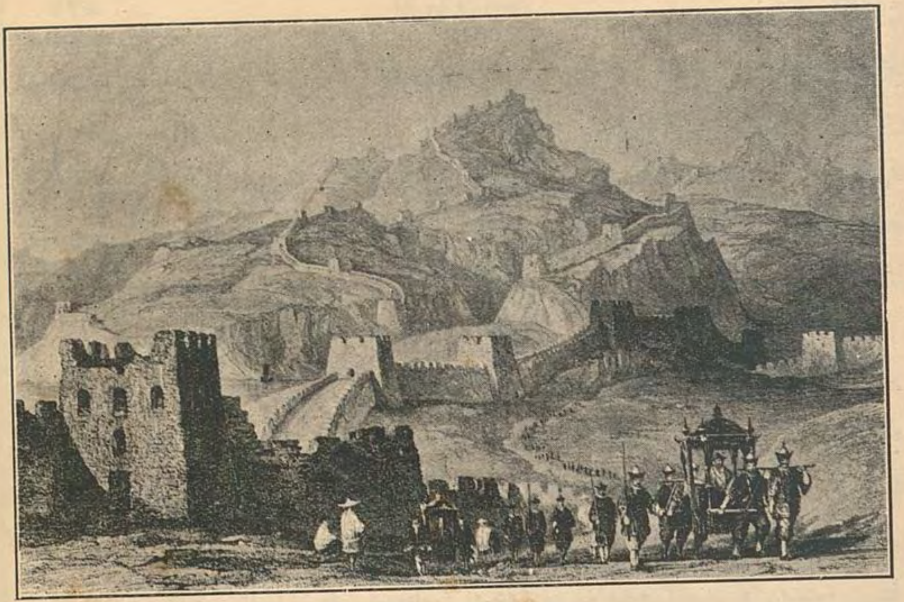

سور الصين

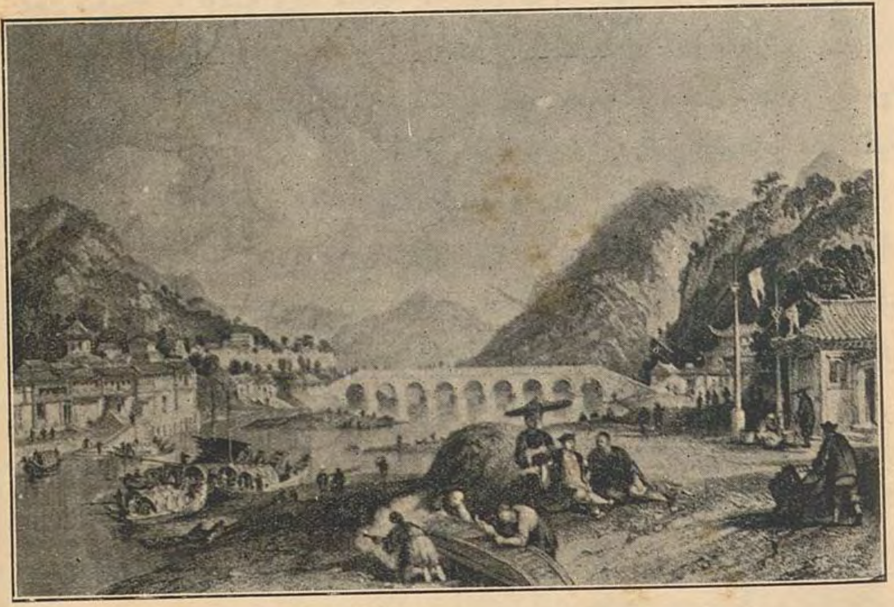

كبري (جسر) على نهر من انهر الصين

ثلاثين وعرضهُ من قاعدتهِ ١٥ قدماً الى ٢٥ ومن اعلاهُ ١٢ قدماً ويقطع في سيرهِ الاودية ويمرُّ فوق الجبال فيبلغ ارتفاع ممرّهِ في بعض الجبال ٤٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ولهُ ابواب عليها الحراس لحراسة الطريق حيث تخرقهُ طرق القوافل · ويظهر مما كتبهُ الذين رأوهُ حديثاً من اهل السياحة انهُ ليس في العظمة التي تنسب اليهِ وان بناء اهرام مصر اصعب من بنائهِ وهي انخم منهُ واعظم

هواء الصين

بلاد واسعة كالصين يختلف هواؤُها باختلاف اقاليمها فالولايات الجنوبية يونان وكونغسي وكونغتنغ وفيها مدينة كنتون واقعة في المنطقة الحارة الشمالية اي بين خط الاستواء وخط السرطان فهواؤُها حارٌ كهواء الاقاليم الحارة · والولايات الشمالية وفيها بكين العاصمة اقليمها مثل اقليم شمالي اوربا وشتاؤُها بارد كشتاء المنطقة القطبية · وما بين هذين الحدين معتدل الاقليم غالباً وفيهِ مدينة شنغاي · والصيف فصل المطر وتتغلَّب فيهِ الرياح الجنوبية الشرقية بسبب حر الصحاري في اواسط اسيا فانهُ يلطف الهواء فوقها فتهبُّ الرياح من فوق الاوقيانوس الباسيفيكي لحفظ الموازنة وهي رطبة فتقع الامطار منها وفي الشتاء تهب الرياح من الشمال والشمال الغربي وهي جافَّة شديدة البرد فيشتد حر الصيف وبرد الشتاء في الانحاء الشمالية · ولكن الهواء من اكتوبر الى مايو طيب مقوٍ للابدان في الولايات الوسطى على شدّة بردهِ · والمطر غير منتظم فيزيد في بعض السنين ويقلُّ في غيرها فتصيب البلاد مجاعات شديدة في السنين التي يقلُّ مطرها

ويبلغ مقدار المطر في السواحل الجنوبية مئة عقدة في السنة وفي بكين نحو ٢٤ عقدة · ومتوسط الحر السنوي في بكين ٥٣ درجة بميزان فارنهيت ومتوسط حر يناير فيها ٢٣ درجة ومتوسط حر يوليو ٧٩ درجة · والمتوسط السنوي في كنتون ٧٠ درجة ومتوسط يناير فيها ٥٤ ومتوسط يوليو ٨٢ · ويهبط الترمومتر في بكين الى ٥ درجات تحت الصفر شتاء ويرتفع الى ١٠٥ صيفاً

نباتها وحيوانها

من نباتاتها الخاصَة القنا الهندي وشجر الشمع وشجر الشحم وشجر الكافور وشجر الورنيش وشجر التوت ومنها نقل البرتقال الى اوربا · ويزرع فيها القطن والقمح والفول والعدس والافيون والرز والشاي وقصب السكر · ويربى فيها دود الحرير ومنها نقل الى سائر البلدان · وقد يربو فيها بريّاً ويستخرج الحرير من شرانقهِ

وفيها اكثر من ١٢٠٠٠ نوع من النباتات · وذوات الازهار منها لا تقلُّ عن ٩٠٠٠

نوع . ويظهر مما فيها من التباين ان الصينيين اعتنوا بزرع الجنائن والحدائق من قديم الزمان فنوَّعوا ما عندهم من النباتات واستخرجوا منها تباينات شتى

وحيواناتها البرية قليلة لاتساع العمران فيها ولا يزال في بعضها الفيل والكركدن والتابير والنمر والدب والذئب

وفيها انواع شتى من الطيور الكبيرة والصغيرة والمبرقشة ومن اسماك الماء العذب والماء المالح والمحار والحشرات على انواعها

وحيوانات الجانب الشمالي منها تشبه حيوانات شمالي اميركا دلالة على ان اسيا كانت متصلة باميركا في بوغاز بيرين من قديم الزمان

وللصينيين مهارة فائقة في تربية الاشجار والانجم والرياحين . وقد انشأ الامبراطور ودني بستانًا لتربية النبات سنة ١١١ قبل المسيح غرس فيهِ اشجارًا غريبة من غرب الصين وجنوبها . والى الصينيين ينسب تنويع الورد والزنبق والكمليا . وهم اول من ربى دود الحرير على ورق التوت واول من استعمل ورق الشاي . وبلادهم وطن الدراقن والبرتقال وكثير من العقاقير الطبية وفيها كل ما في غيرها من الحبوب والاثمار والخضر

سكانها

تقدَّم ان عدد السكان في بلاد الصين الاصلية اكثر من اربع مئة مليون نفس وفي البلاد التابعة لها نحو ثلاثين مليونًا . ويقال انهُ يقيم الآن من الصينيين في غير بلادهم نحو تسعة ملايين ففي جزيرة فرموسا مليونان وربع وفي البلاد المجاورة للصين جنوبًا ستة ملايين وفي جزائر الهند الغربية نحو مئة الف وفي اميركا الجنوبية نحو ٧٢ الفًا وفي الولايات المتحدة الاميركية نحو ١٥٠ الفًا وفي كندا ١٢ الفًا وفي استراليا وزيلندا الجديدة ٣٥ الفًا وفي اليابان ١٧ الفًا وفي كوريا ١١ الفًا

والامة الصينية على كثرة عددها واتساع بلادها وبعد مهاجرها لم تتنوَّع عاداتها واخلاقها ومشاربها لان الصينيين من اشد امم الارض احتفاظًا بعاداتهم يحسبون ان عمرانهم فوق كل عمران ويحسبون امم اوربا برابرة . ولقد كانوا مصيبين في دعواهم هذه منذ الف سنة او الفي سنة حينما كانت الصين في اوج عمرانها وكان اهالي بريطانيا والمانيا برابرة يسكنون الكهوف والاكواخ . واستمرَّت الصين على ما كانت عليهِ حينئذٍ واساس عمرانها قواعد ادبية من افضل ما وضعهُ البشر في كل زمان ومكان . ولكن وسائلها المادية اي علومها الطبيعية لم تكن راقية ولا ارتقت في هذه السنين كلها اما اوربا فارتقت في هذا

السبيل ولا سيما في القرنين الاخيرين ارتقاء لا مثيل لهُ

والقواعد الادبية التي وضعها فلاسفة الصين الاقدمون هذَّبت اخلاق الصينيين فتراهم على جانب عظيم من الصدق والدعة ومن امثالهم المشهورة ان الناس كلهم اخوة . والغريب يجول في بلادهم آمناً . ولم يتفوق الاوربيون عليهم الاَّ لان فلسفة الصين لا توجب على الصينيين السعي والكدح وتوخّي اساليب جديدة للكسب بل تفرض عليهم السير في الطرق المألوفة . والصيني مجتهد جدًّا ولكن اجتهادهُ مقصور على الاساليب الموروثة . وشجاع ولكنهُ لا يستعمل شجاعتهُ لمحاربة غيرهِ ولذلك كان السلم اساس مملكة الصين لما دخلها الاوربيون وادخلوا اليها اساليبهم الحربية ومطامعهم الاشعبية . ولا تزال حرفة الجندي محتقرة في بلاد الصين كادنى الحرف

ويستظهر الصينيون حكم فيلسوفهم الاكبر كنفوشيوس ويجعلونها قاعدة لسلوكهم . ومن هذه الحكم قولهُ

قلَّما يجتمع التملُّق مع كرم الاخلاق

لا يحسن المتسلط سياسة بلاد كبيرة ما لم يهتم بكل امورها وموارد ثروتها ويُعنَ بمصالح سكانها كلهم

يجب على الاولاد ان يظهروا الحب للوالدين في البيت والاحترام للشيوخ في الخارج وان يجعلوا الصدق ديدناً لهم ومحبة الناس غرضاً لحياتهم واذا وجدوا من الوقت متسعاً فليستعملوهُ في اكتساب العلوم والفنون

اذا لم يكن الرجل العظيم وقوراً لم يوقَّر ولا رسخت تعاليمهُ في النفوس

ضع الولاء والاخلاص في مكان سامٍ

اذا اخطأت فلا تأنف من اصلاح خطائك

الولد البرُّ بابيهِ هو الذي لا يحيد عن وصاياهُ حيًّا كان ابوهُ او ميتاً

العاقل مَن اذا اكل لم يفرط ولم تتُقْ نفسهُ الى الملاذ . من يجدُّ في عملهِ ويصدق في قولهِ . من يتشبه بالكرام ويسير بالاستقامة

قال لهُ احد تلامذتهِ ما قولك يا مولاي في فقير لا يتذمر وغنيّ لا يتكبر . فقال لا بأس بهما ولكنهما دون الفقير المسرور والغني المتضع

انني لا استاء اذا جهلني الناس بل اذا جهلتهم

ليبنِ المتسلط سلطتهُ على المبادئ القويمة فيكون كنجم القطب الذي يبقى ثابتاً في مكانهِ

والنجوم كلها تدور حولهُ

المتسلط الذي يتمسَّك بصرامة القانون و يوجب الطاعة بالقصاص يجعل رعيتهُ قليلة الحياء كارهة لعمل الواجب

الرجل العظيم رحب الصدر بعيد عن المحاباة والحقير على الضد منهُ

اذا لم تكلم من ينبغي ان تكلمهُ خسرتهُ واذا كلمت من ينبغي الاَّ تكلمهُ خسرت كلامك · والحكيم لا يخسر رجلاً ولا يخسر كلاماً

من لا يهتم بالغد يفاجئهُ الهم

كن كريماً ولا تنتظر من الغير اكثر مما يحق لك فلا تجد من يتذمر منك

الفاضل الذي يحسب الفضيلة امراً واقعياً ويستعملها كما تقتضيهِ الآداب يبتدئ بالاتضاع و ينتهي بالاخلاص وهو الفاضل بالحق

يشق على الفاضل ان يرى العجز من نفسهِ لا ان يجهل الناس امرهُ

الفاضل يحترم نفسهُ ولا يخاصم · يعاشر الناس ولا يحازب ولا يحترم القائل لاجل اقوالهِ ولا يحتقر الاقوال لاجل قائلها

مَن لا يرجع عن خطائهِ فقد اخطأ مرتين

سألهُ احد تلامذتهِ قائلاً ألا توجد كلمة واحدة يصح ان تكون انموذجاً للحياة الصالحة فقال بلى وهي شو (اي كالقلب و معناها عامل غيرك بما تعامل بهِ نفسك)

امةٌ هذه تعاليم فيلسوفها وهذه قواعد آدابها وسلوكها لا يعزُّ عليها ان ترتقي في الآداب والفضائل ولكنها قد تتطرف في ذلك حتى تتقيد آدابها بقيود تضرُّ بها ضرراً ماديًّا وادبيًّا ايضاً فان محور آداب الصينيين وفضائلهم نظام العائلة او احترام الاولاد لوالديهم الذي جعلهُ كنفوشيوس اساساً للنظام الاجتماعي وعندهُ ان الامَّة كلها عائلة واحدة والمتسلط الاكبر بمثابة والدها وتلزمها الطاعة لهُ كما تلزم طاعة الاولاد لوالديهم · فليس عند الصينيين ما يُعبَّر عنهُ بالحرية الشخصية اي لا شأن للفرد في الاجتماع بل الشأن للعائلة وابو العائلة هو المسؤول عنها فيثاب بفضائلها و يعاقب بنقائصها فاذا احسن الوالدون فالفضل في ذلك لوالدهم واسلافهِ واذا اساء فاللوم في ذلك على الوالد واسلافهِ · ومن ثمَّ ارتفع شأن الوالد وترتب على ابنهِ الاكبر ان يحيي ذكرهُ بعد وفاتهِ فيقيم لهُ نصباً تذكاراً لفضائلهِ و يحرق البخور احتراماً لظلهِ و يحد عليهِ ثلاث سنوات فيلبس الحادون البياض و يمتنعون عن اكل اللحم وشرب الخمر والقيام في المجالس العمومية

(ستأتي البقية)

الشرق والغرب

اشتد الحرّ في اواخر اغسطس في القطر المصري واطمأنت النفوس على القطن مصدر ثروة القطر بعد عناء لا يدرك مقدارهُ الاَّ من رأى حشرات صغيرة تصادرهُ وتأكل مالهُ امام عينيهِ ولا قبَل لهُ بها ولا حيلة في يدهِ للتغلب عليها فدعاني داعي الراحة الى قضاء بضعة اسابيع في جبال سويسرا ٠ وقد عقدت النية على ان لا اكتب في هذه الرحلة حرفاً ولكن غلبني سكون البحر وشاقتني الراحة فيهِ الى القلم فلم ارَ لي بدًّا من كتابة السطور التالية

ودَّعنا القاهرة صباح الرابع من سبتمبر انا وابني قاصدين بورت سعيد وركبنا منها الباخرة الانكليزية رفيتو وهي من اكبر البواخر التي تمخر البحر المتوسط ان لم تكن اكبرها ٠ محمولها اثنا عشر الف طن ونيّف وفيها من معدات الراحة والرفاهة ما امتازت بهِ بواخر الشرق الانكليزية ٠ وكان ركابها قلالاً واكثرهم من استراليا وبينهم حاكمها السابق لورد ددلي ٠ ولم يكن معنا من اهالي القطر المصري سوى شابين من التلامذة الذين يتلقون الدروس العالية في انكلترا وهما محمود افندي غزالي نجل المرحوم عثمان بك غزالي من تلامذة مدرسة الاقتصاد والادارة في لندن واحمد افندي ابو حسين نجل محمد بك ابي حسين من تلامذة كلية الملك في جامعة لندن وكلاهما من الذين تفتخر بهم الشبيبة المصرية ٠ وكان معنا من نزلاء مصر الدكتور فرنسيس ستين طبيب الاسنان والباقون من الانكليز والاميركيين ما عدا رجلاً من اهالي الارجنتين معهُ زوجتهُ وابنتهُ وهو مدير المكتبة العمومية في بلادهِ ورجلاً هنديًّا من المحامين

قضينا اكثر ايام السفر في الحديث عن استراليا والهند واميركا والقطر المصري نسأل ونُسأل ونوضح ونستوضح ٠ والباحث يستفيد من كل احد ومن كل شيء ٠ وقد ظهر من الحديث مع اولئك الرفاق ان العالم كلهُ ميدان سباق والسبق فيهِ الآن للامم التي يجمعها المذهب الانجيلي من الانكليز والالمان وبقية امم الشمال ٠ ولعل اعظم اعمالهم واحراها بالاعجاب تعميرهم استراليا تلك الجزيرة بل القارة التي مرت عليها الوف الاعوام وهي وطن لاقوام من احط الناس خَلقاً وخُلقاً فلم يمضِ على ابناء اوربا خمسون عاماً فيها حتى عمَّروها وانشأُوا فيها من المدن ما يضاهي اكبر العواصم الاوربية في فخامة المباني وانتظام الشوارع وهم يملأُون اسواق اوربا الآن باللحوم والحبوب والاثمار ٠ وكانت السفينة التي نحن فيها مشحونة بلحم

استراليا وفاكهتها في غرف مبردة وقد افرغت جانباً كبيراً من اللحم في نابلي . ولم يكن يخطر ببالي ان بلاداً زراعية كايطاليا تحتاج الى لحم استراليا او يكون ثمن اللحم الوارد اليها مع ما يضاف اليهِ من اجرة الشحن والتبريد ارخص من ثمن اللحم الذي فيها

وكانت استراليا ولا تزال عرضة للقيظ ينتابها في بعض السنين فيهلك ما فيها من الزرع والضرع لكن سكانها الحاليين بحثوا عن المياه في طبقات الارض السفلي فوجدوهُ وحفروا الآبار الارتوازية فامنوا شر احتباس المطر . وخزنوا العلف للمواشي حتى اذا احتبس مطرهم ولم يكفِ ماء الآبار الاَّ للشرب وجدت المواشي علفاً يكفيها . واصيبت البلاد بوباء الارانب فانها كثرت فيها حتى افسدت الزرع واتلفت الحقول فضاقوا بها ذرعاً في اول الامر ثم لجأُوا الى صيدها والمتاجرة بجلودها يرسلونها الى اوربا للفراء فكان لهم من ذلك مورد رزق واسع حتى صاروا يشكون من قلة عمَّال الزراعة والصناعة لكثرة المنقطعين منهم لصيد الارانب. ووجدوا ان بعض الاراضي القاحلة لا تنبت زرعاً لكثرة الفصفات فيها فاستخدموهُ سماداً لغيرها من الاراضي القليلة الخصب فزاد خصبها. والبلاد واسعة جدًّا لو زاد سكانها مئة ضعف لبقي ميدان الارتزاق واسعاً فيها فلا ادري لماذا تضنُّ على الشرقيين بالمهاجرة اليها اذا كانوا مستعدين للعمران الاوربي مثل الاوربيين

وقد رأَيت ان استقصي رأي المحامي الهندي في بلاده وما يقدرهُ ويتمناهُ لها فقال لي ان البلاد سائرة في سبيل العمران سيراً حثيثاً وانها اذا تُركت وشأنها الآن اصابها من الانقسام والتجافي والحروب الاهلية ما يعود بها القهقرى . وان اليابانيين اعلى من الهنود همة واشد منهم التحاماً فلا ينتظر ان يبلغ الهنود مبلغهم اذا استقلوا مثلهم

هذه زبدة كلامهِ وهي اعتراف لم اكن انتظرهُ منهُ ولم يكن في كلامهِ تعمُّل بل كان يوردهُ بسرعة وايجاز كحقائق مقررة لا جدال فيها

ومرَّت الباخرة بنا امام قبرص وكريت فلم نرَ من عمارتهما شيئاً يذكر ولعل العمران فيهما يسير الآن سير السلحفاة بعد ان كانتا مملكتين عظيمتين . بل يظن بعض العلماء ان عمران كريت معاصر لعمران مصر ان لم يكن سابقاً لهُ كما يظهر من الآثار التي كشفت فيها حديثاً وقس على ذلك عمران قبرص القديم فلماذا ذهب ذلك المجد الباذخ مع مجد الشرق ولم يبقَ منهُ الاَّ آثارهُ في الانقاض والمدافن . من لي بكشف القناع عن هذا السر الغامض . من لي بتحريك اليراع حتى يصف ما حل بشرقنا من الدواهي السود . كيف امتطى المشارقة غارب المجد وابقوا من المآثر والآثار ما عجزت عن محوهِ نوائب الدهر ثم تولَّى الضعف

ابناءهم حتى عجزوا عن حفظ آثارهم · مباني مصر وبابل واشور أُنشئت لما كان سكان اوربا يأوون الى كهوف الارض وعرازيل البحيرات فلماذا انقلب ميزان الزمان فرفع هؤلاء وخفض اولئك

ربَّة الشعر طال هجري وصبري   وعراني المشيب والشيب يزري
الف عام لديك عام ولكن   حامل الهجر يومهُ مثل دهرِ
قد دعوتِ هوميرسًا واستجدتِ — الشعر منهُ منظَّماً نظم درِّ
ورمقتِ فرجيل فالروم سكرى   من معانٍ فاقت سلافة خمر
وامرؤ القيس يوم عقر المطايا   للعذارى رأًى رحيقك يجري
واحتفلت باحمد المتنبي   وهو أدلى بشعرهِ للمعرّي
وبثثتِ في شكسبير ذكاءً   يقرض الشعر بين نظم ونثر
اتركت ولو ثمالة كأْس   لمعنًّى من القريحة صفر
ام هجرت ربعًا لهُ النيل خدنٌ   فيهِ بنتور كان شاعر مصر

⁂

ربَّة الشعر طال هجري فعودي   كل ماضٍ يعود حكم الوجودِ
من شموس وانجم مشرقات   والدراري المنظمات العقودِ
فلقد كنتِ قبل أنْ نظم النا   س قريضًا مقيّدًا بقيود
تلهمينَ الرعاة شعراً فيأْتي   مُحْكَمَ الوزن خالي التعقيد
وشهدت حروب مصر واشور   وما قبل صالح وثمود
فدعوت بنتور يروي حديث   الحرب شعراً على صخور الصعيد
ورأيت فرعون يتبع موسى   يوم غاصت في اليم صيد الجنود
فمسست لسان مريم حتى   نطقت بين قومها بنشيد
هل تضنين شأن كل الغواني   او تجودين لي بعَوْد حميد

فحركي قلمي حتى يصف اسباب هذا الخراب لعلّ ما مضى يكون عبرةً لنا ولابنائنا من بعدنا

لبَّيك فاسمع حديثًا كلهُ عجبُ   قامت بتأْييدهِ الآثارُ والكتبُ
شمسُ الحضارة كانت فوق مصركمُ   تحيي وتنمي وتوحي ليس تحتجبُ
والغرب يخبط في الديجور معتسفاً   لا شمس في جوّهِ تبدو ولا شهبُ
فآل فرعون لبَّى النيل امرهمُ   وتربهم عنبر يجري بهِ الضربُ

ملوكهم عدلوا في الناس او ظلموا   سادوا وشادوا فلا هدم ولا خرَبُ
وعاهدوا حدثان الدهر وارتقبوا   مجرى الحوادث فانقادت كما ارتقبوا
اهرامهم راسخات لا يلمُّ بها   ريب ولو كرّت الايام والحقب

⁂

وآلُ اشور اجروا من فراتهم   جداول التبر فاخضلّت بها الترب
وشيدوا مدنًا عصماء لو نزلت   بها الكواكب لاحتفّت بها القبب
ابراجهم ونجوم الليل في حُبُكٍ   اسوارهم من بروج الشمس تقترب
كم فيلق عبأوا كم دولة سحقوا   فالشام دانت لهم والروم والعرب

⁂

وآل صيداء مع صورٍ ودولتهم   سلطانة البحر ان قالوا او انتسبوا
الانكليز على منوالهم نسجوا   والروم قبلهمُ في لحقهم رغبوا
خاضت سفائنهم قلب المحيط وفي   اقصى البوادي نرى روادهم ضربوا
سلْ قرطجنّة أو سل قادسًا وكذا   ارض المتابيل حيث العاج والذهب
مستعمرات لهم في كل ناحية   يا جودها كرمة يا طيبهُ عنبُ(١)

⁂

كرّت قرون وشمس الشرق مشرقة   والغرب في ظلمات الجهل يضطرب
لكنما النُجحُ يأتي بعدهُ بطرٌ   وآفة المفلحين اللهو واللَعبُ
فنام اولاد من جدّوا ومن وجدوا   وقام اولاد اهل الغرب واطّلبوا
وكان من امرهم ان انجبوا بطلاً   دانت لهُ السمرُ والهندية القُضُبُ
خرّيجُ مدرسةٍ تلميذُ فلسفة   والعلم مع طمع يغري ويختلب
قضى على الفرس ارضى مصر ثم بنى   مدينة لاسمهِ تعزى وتنتسبُ
اسكندر البطلِ المغوار والبطِر —   القاضي على نفسهِ اذ سادهُ الغضب
كأْس سقاها وكأْس اوردتهُ ردى   والملك للهِ لا يعطاهُ مغتصب
سمٌّ سرى في عروق الشرق مافتئت   آثارهُ فيهِ تذكيهِ فيلتهبُ

⁂

في فترة الدهر بينا الشرق محتضر   والغرب مضطرب والعلم محتسب

---

(١) كناية عن فينيقية ومستعمراتها

قامت دمشق وبغداد وقاهرة   فادرك الناس ما يبغون او قربوا
لكنهم جعلوا الاقمار رائدهم   بدر محاق او التقريب والخبب
يوماً مدارسهم بالعلم حافلة   وآخر فتنة تغشى بها الكربَ
بنو اميَّة فيهم قال سيدهم   لم يتركوا هامة الاَّ بها ضربوا
فاقتصَّ منهم بنو العباس ثم جروا   في اثرهم شططاً من بعد ما نكبوا(١)
بنو امية نال السيف هامتهم   والهاشميون قتلاً جلّهم ذهبوا
والفاطميون يكفي فعل حاكمهم   تالله ما يفعل الاجداد والنسب

⁂

والغرب قامت لهُ في المجد قائمة   فساد من ساكنيهِ النبع والغرَب
من آل صقلب والافرنج كلهم   والقوط والهنُّ والسكسون والعصب
تداولوا الملك لم تأخذهم سنة   وعززوا العلم لم يمنعهمُ نَصَبُ
مرَّت بهم أعصر اخنت بكلكلها   ديجورها مطبق انوارهُ سحب
لكنهم مزقوها مثخنين بها   بصارم لا شبا فيهِ ولا شطب
بصارم العلم نور العقل فاغتبطت   اقوامهم واستعزَّ العلم والادب

⁂

يا شمس هل زورة منك فتنعشنا   في الشرق قد بُعثت ابناؤك النجب
عودي الينا والاَّ فالحياة ضنىً   والعيش موت وتطلاب العلى عطب

ولقد كان غرضنا النزول في مدينة نابلي والمرور في ايطاليا لزيارة مدنها ومشاهدة معالمها ولاسيما رومية ام المدائن ولكن علمنا حينئذٍ ان الكوليرا ضاربة اطنابها في تلك البلاد وانهُ يخشى من ضرب الحجر الصحي على المارين فيها واذا نزل احد الى البر لم يسمح لهُ بالعودة الى السفينة . فاسقط في يدي وحرمت مشاهدة آثار بمباي وما قد لا تتاح لي مشاهدتهُ في فرصة اخرى

ومنظر نابلي من البحر جميل يشبه منظر بيروت من بعض الوجوه وهي اكثر امتداداً من بيروت واقل عرضاً وبركان يزوف متربّع امامها يهددها بحممهِ ولكنهُ كان خامداً لا ينفث ناراً ولا دخاناً . والمرفأ كثير السفن البخارية وفيهِ ما لم اكن انتظرهُ في مرافىء اوربا ولم ارهُ

---

(١) اي نكبوا البرامكة على ما هو معلوم

فيها قبلاً قوارب صغيرة فيها العازفون يعزفون ويغنون والراقصات يتثنينَ بما لا مزيد عليهِ من التهتك ابتغاء دريهمات يرميها اليهنَّ الركاب · وحول القوارب اولاد عراة يغوصون في البحر لاجل قطعة من النقود مهما كانت · ومرَّت الساعات وهؤُلاء المساكين يستعطون على هذه الصورة الزرية ممَّا لم ارَ لهُ مثيلاً من قبل لا في مدن اوربا ولا في غيرها

ونحو المساء قامت السفينة بنا قاصدة مرسيليا · وكان البحر رهواً كل مدة السفر وقبطان السفينة على جانب عظيم من الظرف وهو موسيقي ماهر كثير الفكاهة وبين الركَّاب فتيات يحسنَّ الغناء والضرب على البيانو فمرَّت ايام السفر بين احاديث مفيدة وسمر وطرب ومأكل ومشرب · وكأنَّ معدَ الانكليز مسبوكة من الفولاذ فيأْكلون سبع مرات في اليوم ولا يتخمون فلا عجب اذا ايفت معد طلاب العلم منهم اذا اطالوا السفر بحراً كما ايفت معدة دارون فقضى عمرهُ مصاباً بسوء الهضم

ومن اغرب ما في الباخرة ان خشب غرفها الكبرى من الجميز وهو رمادي اللون جميل التعريق لهُ لمعان فضي ولم اكن اظن ان هذا الشجر يكثر الى حد ان تبنى منهُ السفن · ولا شبهة في انهُ من امتن انواع الخشب واكثرها احتمالاً للرطوبة وقد كان المصريون الاقدمون يصنعون منهُ توابيت موتاهم ولم تزل تلك التوابيت سليمة الى الآن مع ما كرَّ عليها من القرون

وبلغنا مرسيليا صباح العاشر من سبتمبر واذا الحر فيها يزهق النفوس فركبنا اول قطار الى جنيفا والطريق بين المدينتين نزهة من النزه عند من تشوقهُ الصناعة وتدهشهُ الطبيعة · كروم الزيتون والعنب وحقول التوت والكستنا وغابات السرو والشربين · والآكام والهضاب والجبال الشامخة مغطاة كلها بالانجم والاشجار الاَّ في مكسر الصخور · ونهر الرون يتمعج بينها كالافعوان بل كسيف يسل على نجاد اخضر والقرى على ضفتيهِ وفي سفوح الآكام كاللآلئ واليواقيت والناس يمشون في متنزهاتها رجالاً ونساءً واولاداً بافخر ملابسهم ملابس الاحد · والمعامل رافعة مداخنها الى السحاب لكن آلاتها صامتة تشارك عمالها في الراحة والراحة لازمة للمجتهد

هؤُلاء الفرنسويون اهل جد واجتهاد ومهارة واقتصاد بلادهم جنَّة اوربا وهم اغنى سكانها

بلغنا جنيفا في المساء ولم نكد نجد مكاناً في فنادقها لكثرة السيَّاح والمصطافين لكنها ليلة قضيناها في اقرب فندق من المحطة وقمنا في الصباح ووجهتنا مدينة لوزان

حركة اوربا السياسية

في القرنين الاخيرين

وهي تشرح مبدأ التوازن الاوربي وتبيّن فعلهُ في السياسة

نظرة عامة

في عام ١٧١٥ مات الملك العظيم لويس الرابع عشر · فكان موتهُ بدء القرن الثامن عشر وهو القرن الذي بزغت فيهِ اشعّة العلم والحرية فاستنارت بها الشعوب الاوربية وفطنوا الى وجوب التضامن والتكافل والى وضع ناموس يضمن سلامة المجموع الاوربي ويحفظ توازنهُ

وغريبٌ ان ينتشر فكرٌ كهذا الفكر في زمنٍ كان النزاع فيهِ على السيادة في اوربا بالغًا اقصاهُ على انَّ طبيعة الحال اقتضت ذلك ولعلَّ انكلترا كانت اسبق من غيرها الى العمل بهذه النظرية فقد قال معتمدها سنة ١٧١٧ للدوق دورليان ان رغائب بريطانيا العظمى ان تقف فرنسا عند حدّها وان تكون النمسا مضاهيةً لها في القوّة · ولا ريب ان ساسة الانكليز كانوا في طليعة المحامين عن حوزة الدولة العلية حفظًا للتوازن الاوربي من الاختلال · فعلوا ذلك لمصالحهم الذاتية وكذلك تفعل كلّ دولةٍ من دول المعمور فان الخير المجرَّد لا يوجد في معترك وقفت فيهِ الدول وقفة الكواسر وهنَّ يتمثّلن بقول القائل

مَصيرُ كل شديدِ البأسِ ذي عُددِ   الى البقا ومصيرُ الاضعفِ العدمُ

ولم يقف البشر عند حدّ المعرفة بمبادئ الحرية بل تجاوزوهُ الى الحياة والعمل فنشأَت الثورات السياسية واهمها الثورة الفرنسوية وكانت التجارة قد اتّسعت بانشاء المستعمرات والمزاحمة على موارد الرزق النائية فنهضت الطبقة الوسطى نهضةً ارتعدت لها فرائص الاشراف وكان من ذلك ان اشتدَّ ارتباط الامم بعضها ببعض ولاسيما بعد ان قام فيهم فلاسفة الاجتماع والحرية الذين قادوا اوربا الى ربوع العلوم الطبيعية

فاوربا الآن تحسب التضامن العام مبدأً مقدّسًا وسواءٌ عندها اختلّ التوازن لاسبابٍ داخليةٍ في دولة من الدول او لاسبابٍ خارجية فان على جاراتها التداخل في شؤُونها واكبر عارٍ سياسيٍّ ان تتقاعد دولة عن مناصرةِ المجموع في ما يؤُول الى منع اختلالهِ وحفظ توازنهِ

حروب نابوليون

اعتبر ذلك في تألُّب الدول على بطل فرنسا المغوار فانهُ لما عجز عن غزو انكلترا كرَّ راجعًا

الى قلب القارَّة وفي نفسهِ اذلال النمسا فكان الواجب على بروسيا ان تعضد النمسا حفظاً للتوازن لكنها جبنت امام نابوليون فتمكَّن من النمسا ثم عاد في العام التالي فقهر بروسيا ودخلها ظافراً فحسبت اوربا عمل بروسيا جبناً عظيماً وعاراً اكبر من عار هزيمتها

وعادت النمسا الى مناجزة نابوليون فناصرتها اوربا واكثرها مجاهرة بذلك بريطانيا العظمى وعلم نابوليون ذلك فلم يترك وسيلةً لإذلال الانكليز لكنهُ فشل لعلمهِ ان اوربا عليهِ وانما ناصرت انكلترا النمسا وامدَّتها بالمال لانها كانت ترى في خضد شوكتهِ حفظ التوازن وسلامة المجموع

⁂

ولما غزا نابوليون المانيا سنة ١٨٠٥ تخوَّفت روسيَّا شرَّ العاقبة ولاسيما بعدما اظهرت بروسيا ما اظهرتهُ من الجبن والرعدة فسيَّر القيصر جيشاً الى نصرتها ومع انهُ باءَ بالفشل وانهزم جيشهُ في اوسترليتز وفريدلاند فان اوربا اجلَّت عملهُ وحسبتهُ من اشرف الاعمال

كذلك لما غزا نابوليون بلاد الاسبان فقد رأَت انكلترا ان تقف لهُ بالمرصاد وكانت اوربا منهوكة القوى بعد ان جاس فيها بقدميهِ على انها عرفت ان حرّيتها متوقفة على اتفاقها مع انكلترا فارسلت هذه جنودها الى اسبانيا تحت امرة ولنغتون وناصبت نابوليون هناك الحرب العوان حتى تمَّ لها ان تكسر جيوشهُ وتزحف بمساعدة اوربا الى وترلو فتضربهُ الضربة القاضية

فلما انتصر ولنغتون علا لهُ هتاف النصر في الممالك المتمدنة ولقبهُ الساسة بمحرر اوربا وما ذلك الاَّ لان انكلترا اجابت داعي المصلحة العامة فلم يقعدها الجبن عن القيام بواجبها نحو الاتحاد الاوربي

⁂

وكانما اوربا كانت ايام نابوليون في حلم مخيف ايقظها منهُ صليلُ السيوف ودويُّ المدافع في وترلو فتدانت وعزمت ان تحيا حياةً جديدة تكفل سلامة مجموعها فشكَّل مؤتمر فينا والاتحاد المقدس لاجل هذه الغاية وصار العالم المتمدن يأمل ان ترجع الاحوال الى نظامها لكن المؤتمر لم يفلح في اعمالهِ فحدث بعض الرجعة في افكار الناس على ان هذه الرجعة لم تكن تقهقراً فان مبادئ الحرّية كانت قد تأَصلت في النفوس فتشرَّبت معنى الوطنية وصارت تميل الى ما فيهِ صلاح المجموع . دفعهم الى ذلك ازدياد مصالحهم وما يتوخَّونهُ من الخير في الاتحاد والتضامن . لذلك اتحدت الممالك الالمانية واصبحت ايطاليا مملكةً واحدة ولاجل

هذه الغاية اتحدت انكلترا وروسيا والنمسا ورومانيا على نابوليون الذي كان في نظرهن مقلق اوربا ومكدّر صفوها

فترى ان مبدأ التوازن كان ولم يزل الدافع الاعظم لكل الحركات السياسية · فقد أُدخلت جنوى في بيدمونت لتعزيز سردينيا · وضمت الفلمنك الى هولاندا لايقاف التيار الفرنسوي في الشمال · وسُلخت نروج عن الدنمارك وأُعطيت لاسوج بدل خسارتها فنلاندا وأُضيفت ولايات الرين الالمانية الى بروسيا وباڤاريا لكي يكون لفرنسا عدو شديد في الجانب الشرقي · ولما وضعت روسيا يدها على فنلاندا ودوقية وُرسو قلقت اوربا كثيراً ولم يهدأ روعها حتى فعلت ما ضمن لها سلامة التوازن

المسألة الشرقية

ولا يظهر مبدأُ التوازن في شيءٍ ظهورهُ في المسألة الشرقية · قال احد الساسة «ان هذه المسألة ستبقى شوكةً في جنب اوربا الى الابد» · وقال سياسيٌّ روسي «قبّح الله المسألة الشرقية · فانها كداء النقرس اذا لم يصبْكَ في قدمك اصابك في رجلك وهنيئاً لمن لا يصيبهُ في احشائهِ»

فمن مصلحة انكلترا والنمسا معاضدة الدولة العلية وحفظ كيانها اما النمسا فلانها تكرهُ ان ترى روسيا بالقرب منها واما انكلترا فلأَنها تخاف على تجارتها في الشرق وعلى سيادتها في البحر المتوسط · ولا شكّ ان تركيا اخطأَت خطأً سياسياًّ فظيعاً في معاملتها لمسيحييها فانها كانت تعلم حقّ العلم علاقتهم بالدول ولاسيما روسيا وهي تدّعي حماية الايمان في الشرق فكان الاجدر بها ان تتقرّب منهم وتبث فيهم روح المحبة والثقة · لكنها اتّبعت سياستها القديمة فعرّضت نفسها لكثير من المشاكل ولم تدرك خطأَها الاَّ في هذه الآونة الاخيرة وعسى ان يتمّ لها ما تنويهِ من جمع كلمة عناصرها وتوحيد غاياتهم وذلك بما تُريهم من عطفها عليهم وبذلها الجهد في إسعادهم وترقيتهم

⁂

كانت الدولة في بدء القرن التاسع عشر مختلّة النظام ضعيفة الجانب فبدأَت القلاقل في ولاياتها ولم تكن اليونان راضيةً بما حصلت عليهِ من الحكم الاداري بل كانت تطمح الى انشاء مملكةٍ يونانيةٍ ترجع مجد اليونان القدماء حتى اذا اشتدّ ساعد جمعيتها السرية هيتاريا اوقدت نار الحرب في البلاد فانتشرت بسرعة عظيمةٍ وزاد انتشارها قبول الامير هسبلانتي قيادة الجيوش ضدّ الدولة العلية

فماذا فعلت اوربا حيال هذه المشكلة الكبرى ؟

كان القلق عظيماً من جهة نيات روسيا وهي صاحبة الكلمة الاولى في الشرق الادنى على ان ذلك القلق لم يلبث حتى زال اذ تمكن مترنيخ وكسلريج من حمل القيصر على لزوم الحياد حتى صرّح ان حكومتهُ لا تساعد الثوار . اما النمسا فانها عزمت ان تتبع سياسة عميدها مترنيخ الذي قال ان ثورة اليونان خارجة عن نطاق التحالف الاوربي وقد اراد بذلك ان يحصر الحرب في مكانها فلا تمتدّ السنتها الى اوربا

لكنَّ اليونان لم يبالوا بتصريح روسيا ولا بقول مترنيخ بل اشعلوا نار الحرب وارسلوا القرصان في البحر وجاء محمد علي جد العائلة الخديوية باسطولهِ لمعونة الدولة فغزا المورة وكاد يقضي على اليونان لولا ان الرأي العام الاوربي ناصرهم فاقامت الجرائد المسيحية اوربا واقعدتها وتحوّلت حركة اليونان الى شبه حرب صليبية فلم ترَ الدول عند ذلك مندوحة عن التداخل في امر تلك الحرب

واغتنمت انكلترا تلك الفرصة لمعارضة سياسة روسيا فصرَّحت بان حركة اليونان حربٌ نظامية لا ثورية وعرفت روسيا انها تنوي مزاحمتها على حماية المسيحيين في تركيا فاعدّت لذلك عدّتها

ورجع مترنيخ عن رأيهِ وهو عدم التداخل في الحرب فقلقت الاندية السياسية وعلت جلبة الساسة وقد تقاطعت مصالحهم في كيفية ايقافها

فاشار القيصر ان تجعل اليونان امارات كامارات الطونة تحت رعاية الباب العالي ودول اوربا فلم يرضَ مترنيخ اذ عرف ان ذلك يؤُول الى زيادة نفوذ روسيا فيها وقال الاولى بنا ان نبتّ الامر الآن فإما انشاء مملكةٍ يونانية او ارجاع اليونان الى الدولة العلية . وطال الجدال في هذا الامر وكثر الاخذ والعطاء على ان كفة الاستقلال رجحت اخيراً ولا سيما بعد معركة ناقارينو وانتصار الجنرال ديبتش فاصبحت بلاد اليونان مملكة مستقلة

وانما رضيت اكثر الدول باستقلال اليونان لانها رأت ذلك اقل خطراً على توازنهنَّ من جعلها امارات تحت سيطرة روسيا

محمد علي باشا الكبير

ولم تنتهِ المسأَلة الشرقية بانتهاء الحرب بل اتخذت شكلاً آخر بقيام محمد علي . وكان السلطان محمود ذا ميل شديد الى الاصلاح فشرع في تنظيم السلطنة وادخال بذور التمدن الاوربي فيها . قال اني لا اعرف مسلماً او مسيحيًّا او يهوديًّا الاَّ في محل عبادتهِ فمتى خرج

منهُ كان هو وغيرهُ سواءً امام الشرع والقانون . فلم يَرُقْ اصلاحهُ للعامة بل نقموا عليهِ وصاروا يتوقعون ان يعاقبَهُ الله على ضلالهِ ووافق ذلك خروج محمد علي وزحفهُ على الشام فحسبوا ذلك دليل غضب الله على السلطان

فسيّر محمد علي ابنهُ ابراهيم باشا بثلاثين الفاً الى سورية وفي نيتهِ الزحف على الاستانة ففتح عكاء ودمشق وهزم الجنود الشاهانية في حمص وحماة ثم قهر رشيد باشا في قونية وبات على ابواب العاصمة

وفي اثناء ذلك كانت انكلترا وفرنسا منهمكتين في اضطراباتهما الداخلية ولذلك اغمضتا العين عن قلاقل الدولة فتقدَّمت روسيا الى الامام وعرضت مساعدتها على الباب العالي على ان السلطان محموداً كان يعلم غرضها وانهُ لا يروق لها ان ترى في الاستانة حكومة نشيطة فابى قبول مساعدتها اولاً لكنهُ اضطرَّ بعد معركة قونية الى الالتجاء اليها بالرغم من كرههِ لها

فارسلت روسيا اسطولها الى القرن الذهبي وسيّرت ١٥ الفاً الى بيوكدره وثرابيا ولمّا رأت انكلترا وفرنسا ذلك هالهما الامر واوجستا شراً من تداخل روسيا فاتّفقتا على وضع حدّ لهذه القلاقل وعليهِ ارسلتا اسطولهما الى الارخبيل وحملتا الباب العالي على توقيع عهدة كوتاهية التي عُهد بها الى محمد علي بولاية الشام واطنه علاوة على مصر . فاستاء الباب العالي منها وعمل على معاكستها فعقد مع روسيا عهدة انكيار سكلسّي وفيها ان لروسيا عند الحاجة الحقّ بالتداخل العسكري في شؤون الدولة وان الدردنيل موصدٌ في وجوه الدول جمعاء

فوقفت عند ذلك روسيا وانكلترا وجهاً لوجهٍ وعلمت كلٌّ منهما انّ الواحدة تترصّد الاخرى للايقاع بها — روسيا لانها تحسب المسألة الشرقية تخصّها دون سواها وانكلترا لان مصالحها في الشرق كبيرة فلا تطيق ان ترى روسيا صاحبة السيادة هناك

على انّ وزارة « بيل » كانت تميل الى مسالمة روسيا وموادّتها لكنّ عهدة سكلسي كانت تحول دون ذلك فلم تستطع الدولتان نزع اسباب العداء والبغضاء . ثم سقطت هذه الوزارة وشكّلت وزارة بالمرستون الحرّة فزاد النفور بين انكلترا وروسيا ووقفتا موقف التأهب والحذر

وعقب ذلك عهدة برلين ثم عهدة شنغراتز وفي الاخيرة قرار الدول العظمى على معاضدة تركيا وحمايتها . وفي سنة ١٨٣٨ وقّعت انكلترا مع الباب العالي عهدةً تجارية تضرّ بمصالح محمد علي كثيراً فاحتلّت عدن في السنة التالية لحماية التجارة في البحر والسويس وساء ذلك

فرنسا فتركت انكلترا ونوت منازعتها حتى اذا توفي السلطان محمود وخلفهُ عبد المجيد جاهرت بموالاة محمد علي وفي نيتها ان تستخدمهُ لمصادرة التجارة الانكليزية في الشرق على انها لم تفلح فان سير السياسة سنة ١٨٤٠ اقتضى ان تتناسى روسيا وانكلترا ما بينهما وان تتفقا مع النمسا وبروسيا على اخراج بطل مصر من سوريا ففي ٣ تشرين الاول (اكتوبر) من تلك السنة اخلى ابرهيم باشا بيروت وفي ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) اخلى عكاء وقنع محمد علي بان تكون ولاية مصر وراثية في بيتهِ

حرب القرم

لم تتلكأْ دولةٌ في الاعتراف بالامبراطور نابوليون الثالث تلكُّؤَ روسيا ولولا خوف قيصرها نقولا الاول من ان اصرارهُ في ذلك قد يؤُول الى اتفاق انكليزي فرنسوي تُخشى عاقبتهُ لما اعترف بهِ بتاتًا وعرف ذلك امبراطور فرنسا فحقد على القيصر وصار يترقَّب الفرص للانتقام منهُ

ففي سنة ١٨٥٠ اكفهرَّ جوُّ السياسة في اوربا ورأى نابوليون الفرصة السانحة فاغتنمها . وذلك انهُ في سنة ١٧٤٠ كانت فرنسا قد اتفقت مع الباب العالي على حماية الكنيسة اللاتينية في تركيا ثم حدثت في فرنسا بعض القلاقل على اثر انتشار آراء ڤولتير وكتاباتهِ فتحولت انظارها عن الدولة العلية الى امورها الداخلية واغتنمت ذلك روسيا فاوعزت الى كهنتها في بيت المقدس ان يأخذوا بعض املاك اللاتين وامتيازاتهم فلما قام نابوليون الثالث وكان كما قدَّمنا ينوي الانتقام من روسيا ارسل الى الباب العالي يطلب منهُ ارجاع ما اخذهُ الارثوذكس من اللاتين فوقع الباب العالي بين شرَّين روسيا من جانب وفرنسا من جانب وكلتاهما لا تتنازل شعرةً عن مطاليبها . اما روسيا فقد كانت ترغب في قتال الدولة وكثيرًا ما صرَّحت بذلك لسفير انكلترا وانها تنوي وضع يدها على الولايات البلقانية ومقابل ذلك تساعد انكلترا في وضع يدها على قبرص ومصر وكريت ولم تكن تشكُّ في انحياز النمسا اليها وبالتالي بروسيا لاسيما وانها كانت قد اسدت الى النمسا جميلاً كبيرًا سنة ١٨٤٨

على ان روسيا اخطأَت في تصريحها لانكلترا بنياتها وكذلك في اتكالها على النمسا وبروسيا . وطال امد المخابرات مع الباب العالي حتى عيل صبر روسيا وشهرت الحرب على الدولة العلية وهي على اوهامها المذكورة فغزت امارات الطونة ثم ارسلت اسطولها الى سنوب حيث دمَّر المراكب العثمانية

ورأَت ذلك انكلترا وفرنسا فارسلتا اسطوليهما الى الدردنيل تتوعَّدان روسيا وتنذرانها

بسوء المصير فلم يثنها ذلك عن عزمها واذ ذاك اتحدت انكلترا وفرنسا مع الباب العالي وفي سنة ١٨٥٤ شهرنَ الحرب على روسيا

وخشيت النمسا ان تستقلَّ روسيا بامارات الطونة وتوصد ذلك النهر في وجه تجارتها فعبأَت الجنود على الحدود السربية ووقفت تترقب سير الحوادث . اما بروسيا فعملاً باشارة بسمارك (وكان قد بدأ بالظهور) غيرت سياستها السابقة وانفصلت عن النمسا

وفي حزيران (يونيو) من تلك السنة طلبت النمسا من روسيا اخلاء امارات الطونة وكانت انكلترا وفرنسا قد آنستا الضعف من روسيا فاتفقتا على المطالب الآتية وعضدتهما في ذلك النمسا . وهذه هي المطالب

(١) الغاء حماية روسيا للسرب ولامارات الطونة
(٢) فتح نهر الطونة لجميع الدول
(٣) تحوير عهدة ١٨٤١ التي تقضي بايصاد الدردنيل في وجه الدول
(٤) ان يسحب القيصر ادعاءهُ من انهُ حامي المسيحيين في تركيا

فترددت روسيا في اجابة الدول وعليهِ اعلنت النمسا انحيازها لاعداء روسيا وابرمت معهنَّ عهدة دفاعية . ودارت الحرب الطاحنة حول سفستبول واشتدَّت الدول المتحدة على روسيا حتى وهنت قواها فلما توفي نقولا الاول رأى خلفهُ اسكندر الثاني ان يقبل دعوة الدول الى عقد مؤتمر في فينَّا . على ان ذلك المؤتمر لم يُفلح لان النمسا لامرٍ انسحبت منهُ واعلنت حيادها فنقمت عليها الدول ورأى ملك سردينيا الفرصة السانحة فاغتنمها وملأَ محل النمسا في الاتحاد الدولي ثم ارسل ١٥ الفًا لمساعدة المتحدين في الحرب . فعل ذلك لانهُ كان ينوي توحيد ايطاليا وجعلها مملكة واحدةً يتولاها آل بيتهِ وقد دلتهُ فطنتهُ انهُ لا بدَّ من حربٍ بين ايطاليا والنمسا في المستقبل القريب فرأى لذلك ان يميل الدول اليهِ ويتخذ لهُ منهنَّ صديقات ينصرنهُ عند الحاجة

⁂

وفي سنة ١٨٥٥ فتحت الجنود الفرنسوية قلعة ملاكوف فعقب سقوطها سقوط سفستبول ثم اجتمع نواب الدول (ما عدا النمسا) في باريس وابرموا عهدتها المشهورة

عودٌ الى المسألة الشرقية

ظنَّ اكثر الساسة انهُ بانتهاء حرب القرم تنتهي المسألة الشرقية على انهم اخطأُوا في ظنهم فقد انتهت تلك الحرب الطاحنة فأُبرمت عهدة باريس ودُعيت تركيا في عدد الدول

العظمى لكن المسأَلة الشرقية لم تمت بل عادت الى الظهور كما يتبين لك مما يأتي

لم تقم تركيا بوعودها للدول وكانت روسيا قد رأَت في ايصاد البحر الاسود اجحافاً بحقوقها الطبيعية فلم يمرّ خمس عشرة سنة على عهدة باريس حتى نقضتها · فتجددت مشاكل الدولة وعقب ذلك اعلان الدستور عام ١٨٧٨ ثم الحرب الروسية وعهدتا سان ستفانو وبرلين

وكان عبد الحميد الثاني قد منح النمسا بايعاز من امبراطور المانيا امتيازاً بمد خطٍ حديدي طولهُ سبعون كيلو متراً تكملة للخط الذي يصل النمسا ببحر آجيا وهذا الخط الجديد يخترق لواء نوفي بازار فيصل سلانيك رأساً بفينّا وبالتالي ببرلين · فاعترضت السرب على ذلك وفي يدها امتياز باحتكار الخطوط البحرية هناك وهاجت روسيا لخيانة النمسا اياها وذلك ان هاتين الدولتين كانتا قد اتفقتا الاَّ تضع احداهنَّ يداً على شيءٍ في البلقان الاَّ برضى الثانية فللنظر في هذه المشاكل ولا سيما فيما يتعلق بقلاقل مكدونيا عقدت اوربا مؤْتمراً دولياً لعلها تتوصل الى حلها بطريقة مرضية وكانت المانيا تفكّر في خطةٍ تتناول بها بعض الامتيازات الخطيرة في تركيا منها خط بغداد وريّ ما بين النهرين وما اشبه مما يعارض نفوذ انكلترا وفرنسا فرأَت ان تتقرَّب من الدولة العلية ولذلك انسحبت من المؤْتمر الدولي فلم يفلح المؤْتمر ولكنَّ سلوك المانيا غيّر مراكز الدول السياسية فاصبحت روسيا وانكلترا وفرنسا في جانب والمانيا وحليفاتها في جانب آخر · فالمسأَلة الشرقية لا تزال هي هي والدول الاوربية لا يفتأْنَ ينظرن بعضهنَّ الى بعض نظرة الريبة والحذر · ولقد اكثرت الصحف من الخوض في مسأَلة الامتيازات الدولية وتضارب مصالح انكلترا والمانيا في بلاد الدولة العلية فلا حاجة الى ذكر اسبابها ولا الى ذكر اعلان الدستور للمرة الثانية في تركيا وما عقب ذلك من خلع السلطان عبد الحميد وتغيير سياستنا الخارجية وكذلك لا حاجة الى ذكر المسائل المراكشية والايرانية فكلها حديثة العهد · على انهُ لا بد لنا من القول ان كل الحركات السياسية في اوربا سائرة الى نقطة واحدة هي حفظ التوازن فكما تغيرت سياسة الدول في حرب القرم وحرب روسيا واليابان وغيرها من الحروب والمشاكل كذلك هي تتغير الآن وستبقى كذلك ما دام للاوربيين مصالح في انحاء المعمور وما دام الاختلال في التوازن يُفضي الى حرب عامة تطحن اوربا طحناً

انيس الخوري المقدسي م · ع
وابرهيم خيرالله م · ع

درس للمرسلين

للمرسلين الاميركيين والانكليز غَرَض اوليٌّ وهو الدعوة الى المذهب البروتستانتي وهم يتوصّلون الى ذلك بالتعليم والتطبيب والتبشير لكنهم لا يجرون على نسق واحد لان انتظامهم في سلك واحد لا يقيّد حرّيتهم الشخصية ولا يلزمهم باتباع اسلوب واحد للوصول الى الغرض الذي أُرسلوا لاجلهِ · فرجل مثل الدكتور ڤانديك كان اسلوبهُ ان يفيد الناس بتطبيبهم وتعليمهم وتهذيبهم فاستعدَّ لذلك اولاً بتعلُّم اللغة العربية وحفظ امثالها ومصطلحاتها حتى صار مثل ابرع ابنائها فيها · ثم ألَّف الكتب الكثيرة وعلَّم السنين العديدة وكان الذين يعاشرونهُ ويسمعون وعظهُ يشعرون انهُ رجل كبير النفس رحب الصدر يرشد الى الصلاح والتقوى من غير نظر الى ما بين المذاهب والطوائف من الفروق الدينية ولذلك اكرمهُ اليهود والمسيحيون والمسلمون على حدٍّ سوى في حياتهِ وفي مماتهِ واعتقدوا فيهِ الصلاح والفضل· ورجل مثل سمعان كلهون كان اسلوبهُ افادة الناس بتعليمهم وتهذيبهم فعاشرهُ الدروز والمسيحيون على اختلاف طوائفهم واعترفوا لهُ كلهم بالفضل والتقوى · ولقد كان في الكثير من مواعظهِ وتعاليمهِ لاهوتيًّا متمسكاً بمذهب مخصوص يعتقد صحتهُ ويدافع عنهُ ولكننا لم نسمع منهُ ما يحط من كرامة المذاهب الاخرى · وقس على هذين الفاضلين كثيرين من المرسلين وحبذا لو كانوا كلهم كذلك

وقد انتدبت مدرسة هرتفورد اللاهوتية الاستاذ مكدونلد استاذ اللغات الساميّة فيها لالقاء خطب ترشد متعلمي اللاهوت الى كيفية سلوكهم في البلاد الاسلامية التي يرسلون اليها فاتى مصر وسورية منذ ثلاث سنوات وتعرَّف بكثيرين من علماء المسلمين ثم عاد الى بلادهِ والقى عشر خطب في تلك المدرسة شرح فيها حال الاسلام والمسلمين كما ظهرت لهُ ووجَّه انظار سامعيهِ الى ما بين الدين الاسلامي والدين المسيحي من الاتفاق التام · وهو من العارفين بالعربية المتضلعين من علم الكلام ولهُ فيهِ وفي الفقه كتابان مشهوران باللغة الانكليزية

وقد ذكر في هذه الخطب ما يحسب انهُ يجب على المبشر ان يعلمهُ ويعمل بهِ لكي يستطيع ان يفيد في البلاد الشرقية فينظر اليهِ اهلها نظر الصداقة والاكرام · واوضح ذلك بامثلة ممَّا فعلهُ هو وما جرى لهُ قال ما خلاصتهُ « انني اتصلت بالدراويش مراراً كثيرة فلقيت منهم

كل اكرام ووجدت فيهم غيرة دينية حقيقية وكانوا يكلمونني في بعض المواضيع الدينية باخلاص تام وصدر رحب · نعم انهم كانوا ينظرون اليَّ كاحد السيَّاح المنقطعين للدرس والبحث لا كاحد المبشرين ولكنني اعتقد انهم يفعلون مثل ذلك ايضاً مع المبشرين لو عرف المبشرون كيف يعاشرونهم بالحسنى

« قبلما ذهبت الى البلدان الشرقية عرفت كثيرًا من احوالها وقرأتُ كثيراً عن ايمة المسلمين قرأت كتبهم ودرست سيرهم فصار لكثيرين منهم مقام رفيع في نفسي فلما دخلت بلادهم كان اول شيءٍ اتَّجه اليهِ فكري زيارة مدافن اولئك الايمة الذين عرفتهم من كتبهم فاتممت هذه الزيارات بالاحترام الواجب اي انني زرت مدافنهم زيارة دينية حقيقية بالوقار والاحترام لانهم من اولياء الله فساعدني ذلك على التقرُّب من الذين يعتقدون فيهم الولاية

« والعادة المتبعة في مثل هذه الزيارات ان يمسك الزائر بالقبر ويتلو الفاتحة وهي بمثابة الصلاة الربانية عند المسيحيين · ولا ادري ما يقول علماء اللاهوت في فعلي هذا اما انا فاعترف لكم جهراً انني لم اجد في نفسي اقل مانع يمنعني من تلاوة الفاتحة عند قبور اولئك الاولياء · ولا ادري هل كان الوليُّ المدفون يستفيد من تلاوتي الفاتحة على قبرهِ او كان الواقفون معي يستفيدون ولكنني ادري واعلم انني انا نفسي كنت استفيد من شعوري بالقرابة الروحية بين كل الذين يدعُون باسم الله · واعلم ايضاً ان كل المسلمين الذين سمعوني اتلو الفاتحة عند مدافن موتاهم او سمعوا عمَّا فعلتهُ شعروا ان بيني وبينهم قرابة روحية شعروا ان هذا الرجل المسيحي يحترم اولياءهم ويعرف معنى التقوى والحياة الروحية

«لما كنت في القاهرة ذهبت لزيارة مقام الشاعر المشهور عمر بن الفارض وامسكت بشباك قبرهِ وتلوت الفاتحة وللحال سمعت الذين هناك يقولون انهُ يعلم ما يجب ان يفعلهُ من دلائل الاحترام لهذا المقام · وحدث لي مثل ذلك لما زرت مدفن الامام الشعراني فاني تلوت الفاتحة هناك وفي نفسي اشدُّ الاحترام لذلك الولي لشخصهِ ولمصنفاتهِ . وكنت اشعر بهذا الاحترام كلما زرت مقام ولي من اولئك الاولياء · واني ارى ان كل مسيحي مهما كان متمسكاً بدينهِ يستطيع ان يفعل فعلي ويشعر انهُ زار قبور اناس من الصلاح · ويقيني ان فعلي هذا لم يحملهُ المسلمون الذين سمعوا بهِ الاَّ على الحب لهم ومن المحتمل ان بعضهم ظن اني اميل الى الاسلام واود اعتناقهُ وقد حدث شيءٌ من ذلك في طبرية فاني دنوت مرةً من قبر من قبور اولئك الاولياء على غير علم مني لان القبر كان متهدمًا ولم اعلم انهُ قبر ولي حتى سمعت واحداً ينتهر دليلي لانهُ ادخلني مدفن ذلك الولي فقال لهُ الدليل « ان هذا الرجل يحبنا ولعل الله

يشرح صدرهُ للاسلام ». الاَّ ان ذلك نادر والغالب ان الذين كانوا يرونني كانوا يعلمون اني مسيحي متمسك بديني ولكنني احترم دينهم ايضاً كما احترم ديني

« وقد يصعب على كل المرسلين ان يفعلوا فعلي ولكنهُ لا يصعب على المرسل الشهم المستقل بافكارهِ الرحب الصدر الكثير التسامح . نعم لا يصعب عليهِ ان يفعل فعلي ويبقى مبشراً بل يصير اقدر على التبشير لانهُ لا يخشى ان يسيءَ الناس الظن بهِ حينما يرون انهُ يفعل ما يفعل عن اخلاص وحسن نية »

وبعد ان مهَّد هذا التمهيد قال ان مَن يريد ان يعرف احوال المشارقة في بلادهم سواءٌ كان عالماً او سائحاً او مبشراً قلما يجد سبيلاً لمعرفة ما يريد معرفتهُ كأَنَّ الجميع تآمروا على ان يخبروهُ بما يخالف الواقع . وذكر امثلة مختلفة تؤَيد كلامهُ من حيث اخفاءِ الحقائق وتضارب الاقوال وتقرير ما يخالف الواقع حتى كان يتعذَّر عليهِ ان يعرف حقيقة ما يبحث عنهُ . ثم قال ان الناس الذين كانوا يلفقون لهُ اقوالاً غير صحيحة لم يكونوا يقصدون ان يخدعوهُ ولكنهم كانوا قليلي الاكتراث لما يقولونهُ سواءٌ طابق الواقع او لم يطابقهُ . فاذا سألتَ احدهم عن امر لا يعرفهُ لفَّق لك جواباً حسبما يخطر لهُ غير قاصد خداعك ولا غرضاً آخر من الاغراض الدنيئة وانما قصدهُ الظهور بالمعرفة . قال ولم اجد احداً سألتهُ عن شيءٍ فقال لا اعلم الاَّ حماراً كنت اسألهُ عن اسم جامع او قبر فيطرق قليلاً يفكر فاذا كان لا يعرفهُ قال لا اعلم . ولو سألت احد التراجمة للفَّق لي اسماً ايًّا كان . ونتيجة ذلك إما ان يصدق المبشرون كل ما يقال لهم صحيحاً كان او غير صحيح وإما ان يشكُّوا في كل شيءٍ . فالذي يرى نفسهُ ميَّالاً الى تصديق كل ما يقال لهُ ولو لم يقم عليهِ اثنا عشر شاهداً نصيحتي لهُ ان لا يذهب الى الشرق وانصح بمثل ذلك لمن يعتقد ان الصدق معدوم من الناس . فعلى مَن يذهب الى الشرق ان يزن الامور بميزان العقل فيصدق المعقول منها ويرفض غير المعقول وان يدرس كل ما يستطيع درسهُ من علوم المسلمين قبل الذهاب الى بلادهم

ثم التفت الى امر آخر فقال ان اغرب ما يراهُ المرء في بلاد المشرق اعتداد المشارقة بانفسهم من حيث الدين واعتقادهم انهم هم وحدهم على هدًى وكل مَن سواهم على ضلال . وهم يسلّمون بتفوُّق الاوربيين والاميركيين عليهم في العلوم والفنون ولكنهم لا يسلمون لهم بمثل ذلك في الدين والفلسفة . سألني احد علمائهم مرةً وكنت في بيتهِ الى اي غرض تتجه فلسفة اوربا الآن . والسؤَال كبير صعب لاسيما وانهُ كان عليَّ ان اجيبهُ بالعربية وخفت ان استعمل كلمات اصطلاحية لا تؤَدي المعنى المراد فقلت لهُ ان الفلسفة متجهة الآن الى التصوُّف

ثم استدركت على ذلك بقولي اني اريد بالتصوُّف المعنى الذي كان افلاطون يفهمهُ منهُ . فاشار اليَّ بالاستحسان وقال انهُ لم يخطر بباله قط اننا بلغنا هذا المبلغ من الفلسفة

« وهناك امر ثالث لا بدَّ من اعتبارهِ وهو اعتقاد علماء المسلمين ان كل ما على الارض فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام . ذهبت ذات يوم الى جامع ابن طولون ولعلهُ اقدم جوامع مصر الباقية الى الآن وهو من اقدم مساجد المسلمين في الدنيا وقد أُبطلت الصلاة فيهِ من عهد طويل فلا تجد فيهِ الآن من علامات الحياة الاَّ آثار اقدام الطيور في التراب الذي يغطي ارضهُ ولا تسمع الاَّ اصواتها وهي طائرة فوق رأسك . والجامع في وسط القاهرة ولا يزال شاهداً بعظمة الذين بنوهُ وقد رأَيت على محرابهِ الذي اتجه اليهِ ملايين من المؤْمنين بالصلاة الى الله ابياتاً كتبها رجل اسمهُ درويش مصطفى سنة ١٨٧٧ وهي قديمة رأَيتها في كتاب الف ليلة وليلة وتدلُّ دلالة واضحة على كيف ينظر المشارقة الى هذا العالم وهذا نصها

اين الملوك ومن بالارض قد عَمَروا   قد فارقوا ما بنوا فيها وما عَمَروا
واصبحوا رهن قبرٍ بالذي عملوا   عادوا رميماً بهِ من بعد ما دَثَروا
اين العساكر ما ردَّت وما نفعت   واين ما جمعوا فيها وما ادَّخروا
اتاهم امر رب العرش في عجلٍ   لم ينجهم منهُ اموالٌ ولا وَزَرُ

« وهم يحسبون ان كل شيءٍ ظلٌّ زائل وخيال باطل حتى لقد اعتقد بعضهم ان الله سيفني السماء وجهنم ويبقى وحدهُ مستوياً على عرشهِ كما كان قبل ان ابدع الكائنات . فعلى المرسلين ان يعلَموا ذلك في معاملتهم اهالي المشرق »

وغنيٌّ عن البيان ان المؤَلف لم ينصف المشارقة في رميهم كلهم بقلة الاكتراث لما يقولونهُ ويقررونهُ فان بعضهم يفعل ذلك وبعضهم دأْبهُ التحقيق والتجريح والتمحيص . ولكن اذا كان المطلوب تعليلاً لواقعة فشأن الذين لم يتخرَّجوا في العلوم المحضة منهم شأن امثالهم في سائر البلدان يوردون ما يخطر لهم من الاقوال والعلل من غير تدبُّر

وسائر فصول الكتاب مبنية على ما استنتجهُ المؤَلف من مطالعتهِ في الكتاب والسنَّة وكتب السير والتفاسير وغرضهُ منهُ ايقاف المتخرجين في تلك المدرسة على ما يجب ان يعلموهُ قبل مجيئهم الى البلاد الشرقية . ولقد احسن جدًّا في نصحهِ لهم ليعاملوا الجميع بالحب والاخلاص والاكرام وحبذا لو نصح لهم ايضاً ان يقتصروا على التعليم والتهذيب ويتركوا العقائد الدينية بتاتًا

مصيف مصر

قلما مرَّ يوم مدة اقامتي في اوربا هذا الصيف الاَّ خطر ببالي امر المصيف الصالح لسكان القطر المصري الذين تمكّنهم احوالهم المالية من قضاء فصل الصيف في مكان قليل الحر طيب الهواء او تضطرهم صحتهم الى ذلك

ولا بدَّ للَمصيف من ان يكون جامعاً لثلاثة شروط على الاقل وهي طيب هوائهِ وسهولة المعيشة فيهِ وسهولة الوصول اليهِ

اما الشرط الاول وهو طيب الهواء فكل البلاد الجبلية العالية الواسعة الخلاء طيبة الهواء ولاسيما اذا كان فيها غدران وشلاَّلات ومياه جارية مترقرقة وحراج عطرية الشجر . اذ قد ظهر الآن بالبحث العلمي ان نور الشمس في الاماكن العالية يؤَثر تأثيراً صحياً في الهواء والماء وان الماء الجاري المتكسر على الصخور يصلح الهواء بما يولّد فيهِ من الاوزون . والاشجار العطرية تزيد في صلاحهِ . وهذا كلهُ مؤَيدٌ لما اعتقدهُ الناس في كل العصور وهو ان هواء الجبال وماءها اصلح للابدان من هواء السهول والاودية ومائهما ولو لم يكونوا يعلمون السبب العلمي

والشرط الثاني لايقل اهمية عن الاول ان لم يكن اهم منهُ وهو سهولة المعيشة من حيثُ المأكلُ والمشرب والمأوى والانتقال والنزهة فان هذه الامور كلها من الضروريات ولاسيما لطالبي الصحة والراحة لان الانسان لا يعيش على الهواء والماء وحدهما ولا يرتضي ان يتحمل المشقة وشظف العيش اياماً كثيرة متوالية . ولا يطيب لهُ عيش حيث لا يجد الاَّ السآمة والضجر لاسيما وانهُ لا يكون لهُ عمل يسليهِ تلك الايام

والشرط الثالث وهو سهولة الوصول الى المصيف ضروريٌّ في الذهاب اليهِ وفي الرجوع منهُ من حيث الصحة ومن حيث النفقة . ففي الذهاب يكون الجسم ضعيفاً متعباً فتؤَثر فيهِ مشقة السفر تأثيراً شديداً . وفي الاياب يشقُّ على المرء ان يخسر في يوم او بضعة ايام ما كسبهُ في شهر او اشهر . وقد لا تكون الخسارة كبيرة ولكن الخوف منها يزيدها ضرراً . والنفقة عند اكثر الناس محدودة فاذا زادت عن الامكان بطول الشقة وغلاء الحاجيات والكماليات في المصيف صار قضاء الصيف فيهِ ضرباً من المحال

وقد اعتاد المصطافون من سكان القطر المصري ان يقضوا الصيف إما في اوربا او في

جبل لبنان . والذين يذهبون الى اوربا يصيفون غالبًا في سويسرا او في جهات فرنسا او النمسا او ايطاليا او انكلترا ويختارون في الغالب البلاد الجبلية العالية . واكثر الاماكن التي يختارونها لقضاء فصل الصيف متوفرٌ فيها الشرط الاول تمام التوفُّر. فالهواء طيب مقوٍ للابدان الاَّ اذا اختاروا المدن المزدحمة بالسكان مثل باريس حيث لا يجد الانسان لغرفتهِ الاَّ كوةً واحدة تفتح الى منور او شارع وقضى جانبًا كبيرًا من وقتهِ في القهوات والتياترات حيث يتنفس هواءً تنفَّسهُ الوف قبلهُ . نعم ان المدن الكبيرة مثل باريس ولندن وفينَّا فيها متنزهات واسعة مطلقة الهواء طيبتهُ ولكنك قلما ترى فيها احدًا من سكان مصر المصطافين هناك والغالب ان يقضي الرجال نهارهم في القهوات والنساء عند الخياطات ثم يجتمع الفريقان في التياترات

والانتقال في مدن اوربا وضياعها من اسهل ما يكون ولاسيما بعد شيوع الاوتوموبيل . والسكك ممهَّدة منظمة . واماكن النزهة كثيرة بالغة حد الاتقان تشرح الصدر وتسرُّ الخاطر . ووسائل التسلية كثيرة جدًّا ولاسيما في المدن ومنها ما يسلي ويفيد كالمعارض العلمية على انواعها . يقضي الانسان شهرًا او شهرين في باريس يتردَّد على معارضها فيرى كل يوم شيئًا جديدًا مفيدًا بل لو قضى السنين لرأى كل يوم اشياء لم يرَها قبلًا

كل غرفة من غرف الاسلحة في الانڤاليد تستحق ان يقيم فيها المرء يومين او ثلاثة يدرس ما فيها. وكل غرفة من غرف الصور والتماثيل والاثار والامتعة في معرض اللوفر تستحق ان يقيم فيها المرء اسبوعًا يدرس ما فيها وقس على ذلك معارض مدينة لندن

والمدن الصغيرة مثل جنيفا ولوزان لا تخلو من المعارض الجامعة للآثار والتحف والامثلة الحيوانية والنباتية فيرى فيها المرء ما يسليهِ ويفيدهُ ناهيك بمشاهد التمثيل المختلفة ومشاهد السيناماتوغراف التي شاعت في هذه الايام حتى في اصغر المدن الاوربية

ثم ان الفنادق على غاية الاتقان وفيها كل معدات الراحة . اني اكتب هذه السطور بمدينة باريس في غرفة يدفئها الماء السخن يدخلها في انبوب ويملأُ اناءً كبيرًا كثير الاضلاع فيسخنهُ ويدفئُ الغرفة . وتنار بالكهربائية وفيها ساعة تديرها الكهربائية ايضًا وجرس كهربائي واصعد اليها برافعة يحركها الهواء المنضغط . نعم ان كواها لا تطلُّ على الجبال والحراج ولكنني كنت منذ ساعة في حديقة قصر لكسمبرج وهي غاب لا يبلغ الطرف حدَّهُ حافل بالاشجار والازهار والفساقي والتماثيل والماشي الواسعة وباريس ليست من المصايف لكنني كنت في الاسبوع السابق في مدينة لوزان بسويسرا وكانت كوة غرفتي تطل على حديقة

غناء امام الفندق و بعدها بحيرة جنيفا منبسطة كالمرآة ووراءها الجبل الابيض بقممهِ الشاهقة وقد كسا الثلج بعض هضباتهِ فبان عليهِ كطرائق اللجين . وان شئتُ فمشي عشر دقائق يوصلني الى دار التحف او الى غاب ملتف الاشجار او حديقة موشاة الخمائل ببدائع الازهار . وكل وسائل الراحة والرفاهة والنزهة متوفرة لكل مصطاف لا يشوبها الاَّ كثرة الخدم في الفنادق فانك كيفما تحرَّكت ترى واحداً يأتي لمساعدتك غير مطلوب لكي تزيد نفقاتك عن الحد الذي قدَّرتهُ . ثم ان اكثر الطعام لحم . لحم غنم ولحم بقر ولحم خنزير ولحم سمك ولحم طير ثلاثة الوان على الاقل من اللحم في الغداء واربعة في العشاء وان كنت في بلاد الانكليز فلون او لونان في الصباح ايضاً . ذلك ما لم تألفهُ اكثر المعَد الشرقية ولا هو اصلح للصحة من الطعام القليل الالوان القليل اللحم ولكن الشرقي غير مكلَّف بالاكل منها كلها

والفاكهة فاكهة الصيف والصيف ابَّانها كثيرة قليلة . كثيرة في البساتين والاسواق ولكنها قليلة في الفنادق يضعون امامك في اسبوع ما تأكلهُ في بلادك في يوم . كمثراة وخصلة من العنب لمن يأكل رطلاً من الكمثرى واقة من العنب . ذلك ما لم نألفهُ ولا نرضى بهِ . واذا طلبت الفاكهة في غير اوقات الطعام او طلبتها في الصباح فثمن الكمثراة او عنقود العنب فرنك او نحوهُ . اواه على لبنان اقة العنب بنصف غرش او بغرش . وما ادراك ما العنب الذي يقدَّم في الفنادق والمطاعم في البلدان الاوربية . عنب قلما يؤكل كثير العجم سميك الجلد اما العنب الجيد الكبير الحب اللذيذ الطعم فاقتهُ بعشرة فرنكات الى اثني عشر فرنكاً . فالمعيشة في هذه البلاد غالية جدًّا على كل حال ولا بدَّ للمصطاف من ان ينفق مضاعف ما قدَّرهُ

هذه هي اكثر الحسنات واكثر السيآت في الشرطين الاولين . نأتي الآن الى الشرط الثالث وهو الوصول الى المصيف

قضيت من بورت سعيد الى مرسيليا ستة ايام بلياليها واتفق ان كانت السفينة من اكبر السفن وانظفها وكان البحر رهواً يعبث بهِ النسيم فيغضن وجههُ ولا يزيد فلم يكن سبيل للشكوى ومع ذلك لم يطمئن بال احد الاَّ الذين لا يصيبهم دوار ولو اشتدَّ النوءُ . اما نحن الذين نخاف الدوار فلو اصابنا نوءٌ كما اصابنا احيانًا للعنَّا السفر ووددنا ان نلقى على البر ولو في قفر قاحل . ثم بلغنا مرسيليا والشمس غاضبة على الارض ترشقها بسهامها

يوم من الشعرى يذوب لعابهُ   افاعيهِ في رمضائهِ تتململُ

فاسرعنا الى اول قطر ركبناهُ تخلصاً من الحر . وما السفر من القاهرة الى بورت سعيد في

يوم من ايام الخماسين او من لقصر الى اصوان في تلك الايام باشد وطأة من الساعات الاولى التي قضيناها الى ان مالت الشمس عن الهاجرة وبرد الهواء وصرنا في بلاد جبلية

هذا حالنا في المجيء الى اوربا وما ندري ما يكون حالنا في الرجوع منها وامامنا غصص في السفر برًّا وبحرًا وقد تجرَّعنا بعضها في المجيء من لوزان الى باريس فان الهواء برد في الطريق بغتةً ووقع الثلج حتى كسا الارض والاشجار · ثم تعاقبت ايام الحر والبرد والصحو والمطر فلا ندري في ليلنا ما يكون نهارنا ولا في صباحنا ما يكون مساؤُنا

اما لبنان فالوصول اليهِ في يوم او يومين · واذا اشتد النوءُ وساءَت حال السفينة فهي ليلة وتنقضي · والهواء والماء على اطيب ما يكون ولا سيما في الاماكن العالية · فالشرطان الاول والاخير متوفران ولكن الشرط الثاني وهو سهولة المعيشة ففيهِ نظر · السكك والفنادق والبيوت صارت كلها اصلح كثيرًا مما كانت منذ عشرين سنة ولكنها لا تقاس بما في اوربا فينقصها شيء كثير حتى تتوفر فيها معدات الراحة وهذا الشيء ليس كبير النفقة ولكنهُ ضروري · اشير الى النظافة اولاً · النظافة في ادوات الطعام وغرف المائدة وغرف الجلوس ولوازم الفرش ثم الى نظافة الخدم حتى لا تعاف العين رؤْيتهم · والاكثار من الحمامات والكنف في الفنادق والبيوت المعدة للايجار ويجب ان تكون كلها نظيفة متقنة مجهزة بالممصات (السيفون) حتى لا تنبعث منها رائحة خبيثة على الاطلاق · واذا زار اصحاب الفنادق اللبنانية سويسرا ورأَوا فنادقها حتى التي في المدن الصغيرة والقرى الكبيرة اتضح لهم المراد وعرفوا كيف يقلدونها

وقد قصد الناس سويسرا للاصطياف فيها منذ سنين كثيرة ولكن زاد عددهم اضعاف الاضعاف في هذه السنين الاخيرة وصاروا يقصدونها صيفًا وشتاءً وعلى مدار السنة ولا يقلُّ دخلها منهم الآن عن خمسة وعشرين مليونًا من الجنيهات كأَن موسم السياح في سويسرا مثل موسم القطن في القطر المصري مع ان سكانها نحو ثلث سكان القطر المصري فاتسعت مدنها وأُنشئت فيها قرى جديدة و بنيت بيوت كثيرة في القرى القديمة حتى انك لا تجد في فرنسا على فرط غناها قرًى تماثل قرى سريسرا في كثرة المباني الجديدة وجمالها · وقد دهشت من كثرة ما جد فيها من المباني منذ عشرين سنة الى الآن

رأَيت مدينة لوزان منذ تسع عشرة سنة ورأَيتها الآن فاذا مبانيها تضاعفت وانشئَ فيها بناءٌ للبريد يفضل بناء البوسطة في القاهرة عشرة اضعاف في فخامتهِ وجمالهِ ولا نسبة بين البنائين في وجه من الوجوه · مع ان بوسطة القاهرة لمدينة فيها سبع مئة الف نفس ولقطر

فيهِ ١٢ مليونًا و بوسطة لوزان لمدينة سكانها ستون الفًا او اقل · و بناء البنك الاهلي في لوزان يفضل بناء البنك الاهلي في القاهرة كما يفضل الذهب النحاس · وفي هذه المدينة الصغيرة من الكباري (الجسور) والمباني العمومية كالمتاحف والمدارس ما يدهش النظر في عظمتهِ وجمالهِ وفيها وحولها من الحدائق والمتنزهات ما لا تذكر معهُ حديقة الازبكية · ولا يظهر لي ان لاهلها دخلاً غير ما يكتسبونهُ من الفنادق والمدارس فانك قلما ترى احداً في الدكاكين والمخازن غير تلامذة المدارس ونزلاء الفنادق من انكليز واميركيين وفرنسويين وروسيين وايطاليين واسبانيين وبرازيليين ومصريين ومن كل امة تحت الشمس يشترون الثياب والحلى والجواهر والفنادق تطعمهم وهي ملأَى بهم دائمًا ولا تقل نفقة كل نفس عن جنيه في اليوم على المتوسط فاذا بلغ عددهم في تلك المدينة خمسة آلاف نفس كل يوم بلغ ما ينفقونهُ في ٣٠٠ يوم من السنة مليونًا ونصف مليون من الجنيهات

ويظهر لي انهُ لو تمَّ للبنان ما تمَّ لسويسرا من حيث تسهيل وسائل المعيشة والراحة للمصطافين فيهِ كما هي في سويسرا لصار المصيف الوحيد لسكان القطر المصري ولقصدهُ نحو اربعين الفًا منهم كل سنة او عشرة آلاف عائلة · لكن هذه الغاية لا تنال ما لم تضعها حكومة لبنان نصب عينيها وما لم يسعَ اليها سكان لبنان من الآن · فالحكومة تفعل مثل حكومة سويسرا اي توسع كل السكك العمومية وتمهدها وترصفها حتى تصير صالحة للاوتوموبيل وتوصل البريد والتلغراف والتلفون الى كل المدن والقرى الكبيرة وتساعد كل المشروعات التي يراد بها استخدام قوة المياه لانارة المدن والقرى بالكهربائية · والمجالس البلدية تشرع من الآن في توسيع السكك في المدن والقرى ورصفها ورشها وغرس الحدائق فيها وحولها · واصحاب الفنادق والبيوت المعدَّة للايجار يعتنون بنظافتها وفرشها وخدمتها واضافة ما يلزم اليها من التدابير الصحية

اما الحكومة والمجالس البلدية فلا تستطيع ان تعمل هذه الاعمال الاَّ اذا تضاعف دخلها ضعفين او ثلاثة · وهذا ميسور للحكومة اذا اعادت المسح وضربت الضرائب الكافية على كل ما لهُ ريع · ولا يكثر عليها ان تأخذ عشر الريع او خمسهُ ولا خسارة من ذلك لان ما تأخذهُ تنفقهُ في الجبل فكأَنها لا تاخذ شيئًا · والنفقات كلها رأس مالٍ وذخر للجبل يزيد بهِ ريع سكانهِ ويغني جانبًا كبيراً منهم عن المهاجرة

ومتى كثر عدد المصطافين في لبنان راجت الصناعة فيهِ وراجت التجارة ايضًا فيهِ وفي المدن المجاورة لهُ

احتلال بحر الغزال

٤

افراس النهر

وبقينا في التونج اياماً قلائل طلباً للراحة ثم قفلنا عائدين الى مشرع الريك ومعنا دواب النقل . وبعد ان قطعنا نحو ثلاثين ميلاً وصلنا الى نهر صغير يكاد ان يكون جافاً لكننا رأينا فيهِ بطيحة قد اجتمع فيها عدد كبير من افراس النهر فوقفنا نتفرّج عليها وهي تغطس في الماء ثم تعود الى سطحهِ وترفع رؤُوسها لاستنشاق الهواء . وكانت الاناث حاملة صغارها على ظهورها ومنظرها من اجمل المناظر التي رأَيناها في تلك البلاد . ثم وقفنا على جرف رأَينا تحتهُ فرساً كبيرًا تدلُّ هيئتهُ على انهُ ذكر ولم يكن بيننا وبينهُ اكثر من خمسة عشر مترًا فطلب منا الاهالي ان نقتلهُ فقتلناهُ وتركناهُ في الماء فنزلوا بعد انصرافنا وجرُّوهُ الى البرّ واخذوا لحمهُ

وافراس النهر كثيرة جدًّا في تلك البلاد وقد كانت كثيرة في مصر لكنها انقرضت منها منذ ثلاث مئة سنة قتل آخر واحد في فرع دمياط سنة ١٦٠٠ ويندر ان يرى واحد منها الآن شمالي الخرطوم

ويظن بعض علماء التوراة ان فرس النهر هو البهيموت الذي ورد ذكرهُ في سفر ايوب قال « انظر الى بهيموت الذي صنعتهُ معك انهُ يأْكل الخَضِر مثل البقر . قوتهُ في متنيهِ وشدّتهُ في عضل بطنهِ . يشول بذنب كالارز واعصاب فخذيهِ محبوكة . عظامهُ قصب من نحاس وغضاريفهُ حديد مطرّق . هو اول طُرُق اللهِ في الخلق وصانعهُ هو يُعمل سيفهُ . فالجبال تخرج لهُ الرتعة وحولهُ تلعب جميع وحوش الصحراء . يربض تحت السدر وفي خَمَر (اي ستر) القصب في المستنقع . يخيّم عليهِ السدر بظلهِ ويكتنفهُ صفصاف الوادي . ان طغى عليهِ النهر لم يُجفل . هو مطمئنٌّ ولو اندفق الاردنُّ في فيهِ » (ايوب ٤٠ : ١٠ — ١٨) . فهذا الوصف ينطبق تمام الانطباق على فرس النهر الذي لا يزال حتى الآن يربض تحت السدر وراء القصب في مستنقعات اواسط افريقية ولا يستبعد انهُ كان موجوداً في الاردنّ حيث يكثر السدر والقصب او في بحيرة الحولة كما اشار الى ذلك الاب لامنس اليسوعي في كتابهِ « تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار » . اما

وصف هذا الحيوان بكثرة اكل العشب فلا يعرف مقدارهُ من الصحة الاَّ اهالي السودان فانهُ اذا خرج ليلاً على زرعهم اتلف الزرع في فدَّان من الارض او اكثر من ذلك وقد قيل لي انهُ يأْكل في ليلة واحدة زراعة ربع فدَّان من الذرة

واهالي السودان يأْكلون لحمهُ فاذا ظفروا بواحدٍ منهُ وقتلوهُ ربطوهُ بحبل وجرُّوهُ الى ضفة النهر ثم قطعوا لحمهُ قدداً وجففوهُ في الشمس او اضرموا النار وغرزوا خشبات حولها ونشروا القدد عليها ودخَّنوها. اما الجلد فثخين جدًّا يقدُّونهُ قطعاً طوالاً ويصنعون منها هذه العصي والسياط التي يقال انها مصنوعة من اذناب الفيلة وهي في الحقيقة من جلد هذا الحيوان

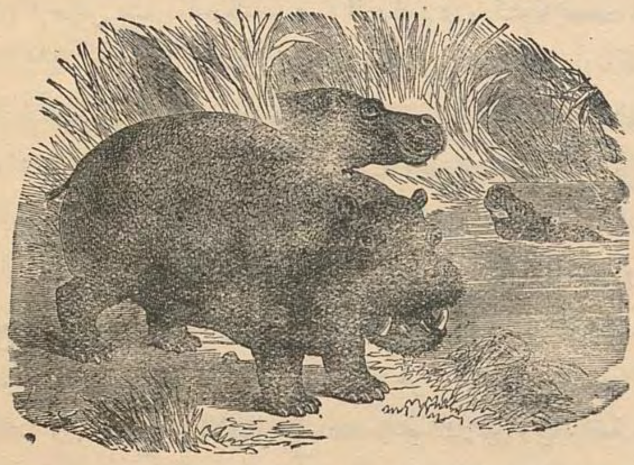

افراس النهر

الافيال

وبعد مسير اربعة ايام وصلنا الى بركة ماءٍ فنزلنا عليها للمقيل ولمَّا مالت الشمس الى المغيب اخذت بندقيتي وخرجت من المعسكر في طلب الصيد فوصلت الى مكان مرتفع وقفت عليهِ واخذت اجول ببصري لعلّي ارى صيداً في السهل امامي واذا رجل من الاهالي قد جاءَ اليَّ واخذ يشير بيدهِ الى غابة تبعد عني نحو خمسمائة متر فالتفتُّ واذا فيلان كبيران جدًّا يسيران الهوينا فلم اكد اصدق نظري لشدة الفرح فافهمت الرجل بالاشارة ان يسرع الى المعسكر ويخبر البكباشي بلنوى وبقيت واقفاً ارقب الفيلين حتى اختفيا وراءَ الشجر. ولم تكن الاَّ بضع دقائق حتى جاءَ البكباشي مسرعاً ومعهُ المستر سيرس الجاويش الانكليزي فمشينا نحن الثلاثة الى الجهة التي سار فيها الفيلان فرأَيناهما قد نزلا في خور يشربان

ويغتسلان وكانت الشمس قد غابت فاخذنا نزحف على بطوننا حتى صرنا على ثلاثين متراً منهما ولم يمكننا التقدم اكثر من ذلك لانهُ لم يبقَ شيءٌ بيننا وبينهما نستتر وراءهُ . ثم جلسنا نستريح واتفقنا انهُ اذا هجم الفيلان علينا لا نحاول ردها بل يختبئ كلٌّ منا في اي مكان يراهُ موافقاً . ولا سبيل للنجاة من الفيل اذا هجم الاَّ بهذه الطريقة لانهُ قصير البصر جدًّا لكنهُ قويّ الشم متى كان تحت الريح اما سيرهُ فاسرع من سير الانسان كثيراً . ولا يمكن ردّهُ باطلاق الرصاص عليهِ مواجهة ما لم يصبهُ الرصاص في ركبتهِ ويصعب ذلك في مكان كثير العشب لان ركبة الفيل لا تعلو كثيراً عن الارض فيخفيها العشب . ثم انتقينا اكبر الفيلين وقال لي البكباشي لنصوّب بنادقنا نحن الثلاثة جاعلين غرضنا من الفيل بين صماخ اذنهِ وعينهِ واضرب انت اولاً لانك صاحب الصيد ونحن نتبعك قلت لا بل اضرب انت اولاً لانك اسدّ رماية مني وغايتنا قتل هذا الفيل فاتفقنا على ذلك واطلقنا الرصاص ثلاث دفعات اي ان كل واحد منا رماهُ بثلاث رصاصات فرفع الفيل خرطومهُ واخذ ينظر الى الجهة التي سمع الصوت منها ثم حوّل وجههُ وولّى هارباً لا يلوي على شيءٍ ودخل اجمة في الجانب الآخر من الخور واختفى فيها وتبعهُ الفيل الآخر . ثم سمعنا صوتاً عن شمالنا كصوت الابواق فالتفتنا واذا قطيع من الافيال يبلغ عددها نحو الثلاثين وهي رافعة خراطيمها فوق رؤوسها ومسرعة الى الغابة . وكان الظلام قد خيم فعدنا خائبين ولا ادري اينا كان اشدّنا غيظاً وقد توسلت الى البكباشي بلنوى ان نبقى هناك الى اليوم التالي ونقتفي اثر الفيل ونجهز عليهِ اذا كان لم يزل حيًّا فابى وقال ان بقاءنا هناك يؤَخرنا عن الوصول الى المشرع فلا تصل المؤونة الى التونج في الوقت المعين قلت دعني ابقى وحدي قال انا المسؤول عن سلامتك ولا اقدر ان اسمح لك بالبقاء . ولم يكن البكباشي بلنوى اقل مني اسفاً لضياع هذا الفيل لكنهُ على شدة ولعهِ بالصيد كان يرى ان ايصال حمل واحد من المؤونة الى التونج اهم كثيراً من صيد عشرة افيال . وقد لقيت كثيرين من الضباط ذوي النشاط والهمة لكنني لم ارَ مثل البكباشي بلنوى في صدق خدمتهِ وشدة غيرتهِ على مصلحة الحكومة وتفانيه في قضاء الواجب الى ان مضى لسبيلهِ مع من مضى من رفقاء تلك الرحلة

ووصلنا بعد يومين الى بركة ماء نزلنا عليها وكان الحرُّ شديداً فجلست في ظل شجرة على حافة الماء ثم جاء احمد كامل افندي وجلس معي ووضعنا امتعتنا هناك ونمنا فلما مضى هزيع من الليل جاء محمد افندي امين وايقظني وقال قم وانظر فقمت واذا فيلان هائلان في البركة امامنا لا يبعدان عنا اكثر من عشرين متراً . واراد امين افندي ان يوقظ كامل افندي

فقلت لهُ دعهُ نائماً لانهُ تعب كثيراً اليوم ووقفنا ننظر الى الفيلين بقدر ما يسمح لنا ظلام الليل وكانا يشربان . ثم اخذا يخوضان الماء كأنهما يريدان الانصراف او التقدم الى جهتنا فخفت ان يمرَّا من المكان الذي كان كامل افندي نائماً فيهِ فايقظتهُ واخذت بندقيتي وذهبت الى المكان الذي كان فيهِ البكباشي بلنوى فرأيتهُ واقفاً و بندقيتهُ في يدهِ فقلت لهُ ما رأيك قال ليس من الصواب ان نطلق الرصاص عليهما في هذا الظلام الدامس واخاف اننا اذا فعلنا ذلك ودخل فيل منهما بين العساكر واختلط الحابل بالنابل ان يصيب العساكر بعضهم بعضاً او يعثر احد الفيلين بجندي نائم فيقتلهُ . فتركناهما وشأنهما وهما لا يباليان بلغط العساكر وكانوا قد استيقظوا من نومهم فشربا حتى ارتويا ثم انصرفا آمنين

وربما كان بعض الكلام في وصف الفيل الافريقي لا يخلو من فائدة في هذا المقام فلا يخفى ان الفيل نوعان هندي وافريقي واكثر الفيلة التي نراها في حدائق الحيوان هندية . والفرق بين الاثنين ان الهندي اصغر جثة واكثر ذكاءً من الافريقي وهو الين عريكة واسهل انقياداً اما الافريقي فشرس جدًّا واصعب مراساً واكبر جثة يبلغ علوُّ الكبير منهُ اثنتي عشرة قدماً عند كتفيهِ

ويختلف الافريقي عن الهندي ايضاً بكبر الاذنين وطول النابين وضخامتهما ففي المتحف البريطاني ناب فيل افريقي طولها عشر اقدام وعقدتان ووزنها ٢٢٦ ½ ليبرة واظنها احدى النابين اللتين ذكرتهما في رسالة ماضية . وفيهِ ناب فيل هندي طولها ثماني اقدام وتسع عقد ووزنها ٩٠ ليبرة وهي اطول الانياب الهندية . هذه اهم الفروق بين الفيلين الافريقي والهندي . وقد كان القدماءُ يذللون الفيل الافريقي ويقاتلون بهِ كما كان الهنود يقاتلون بالفيل الهندي فكان البطالسة يأتون بالافيال من شرق افريقية وقد قاتل بها القرطاجنيون في حروبهم المشهورة مع الرومانيين وآخر من حاول اذلال الفيل الافريقي اسمعيل باشا الخديوي الاسبق فانهُ ارسل فيلين من الافيال الهندية الى الاسمعيلية المعروفة الآن بقوندوكورو وذلك لتعليم الافيال الافريقية وتربيتها

ووصلنا الى مشرع الريك في الثامن من شهر فبراير ووصلت الباخرة التي تحمل البريد من ام درمان في اليوم نفسهِ فاخذت رسائلي وجلست في خيمتي اقرأُها وكان في المحطة علمان مرفوعان دائماً وهما العلم العثماني والعلم الانكليزي فالتفتُّ واذا البكباشي بلنوى يخفضهما فسألت عن الخبر فقيل لي ان البريد جاء بنعي الملكة فكتوريا وكانت وفاتها في الثاني والعشرين من شهر يناير فلم نعلم بها الاَّ بعد مضي سبعة عشر يوماً

الدكتور امين المعلوف

الكيمياء والقوة

من خطبة السر وليم رمسي رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني

عقد مجمع تقدم العلوم البريطاني اجتماعهُ الحادي والثمانين في مدينة بورتسموث في اواخر اغسطس الماضي فتلا فيهِ رئيسهُ السر وليم رمسي الكيماوي الشهير خطبة الرئاسة وهي مسهبة نقتطف منها الفوائد التالية قال

مرَّ ثمانون سنة منذ عقَد هذا المجمع اجتماعهُ الاول وقد ذُكر الغرض منهُ في ذلك الاجتماع وهو « انهاض همَّة الباحثين في المواضيع العلمية وحملهم على موالاة البحث وتعريفُ بعضهم ببعض في كل انحاء الامبراطورية البريطانية وبغيرهم من الفلاسفة الاجانب لكي يزيد الالتفات الى المواضيع العلمية وتزول العوائق التي تعوق تقدم العلم »

ولقد كان عدد المشتغلين بالعلم قليلاً حينئذٍ (اي سنة ١٨٣١) ولم يكن في البلاد جمعية علمية ذات شأن الاَّ الجمعية الملكية التي انشئت سنة ١٦٤٥ باسم المدرسة الفلسفية ثم اجازتها الحكومة سنة ١٦٦٠ في عهد الملك تشارلس الثاني وقد وصفها بعضهم ووصف الغرض منها بقولهِ

اعضاء هذا المجمع الموقَّرِ غرضهم بحثٌ وتحقيق حري
لخير قومهم وخير البشرِ

واول مجمع علمي تفرَّع من الجمعية الملكية جمعية لينيوس النباتية وذلك سنة ١٧٨٨ ثم الجمعية الجغرافية سنة ١٨٠٧ وتلتها جمعية العاديات والجمعية الكيماوية وجمعية علماء الحيوان والجمعية الطبيعية والجمعية الرياضية وغيرها من الجمعيات العلمية الكثيرة. وشعر الناس حينئذٍ ان العلم وارتقاء الانسان شيئان متلازمان كانهما اسمين لمسمًّى واحد كما قال لورد بلفير سنة ١٨٨٥ اوكما قال قبلهُ الفيلسوف روجر باكون سنة ١٢٥٠ وهو « ان للعلوم المبنية على الامتحان ثلاث مزايا على ما سواها من العلوم وهي انها تثبت نتائجها بالامتحان وتكتشف الحقائق التي يتعذَّر البلوغ اليها وتبحث في اسرار الطبيعة فتفتح للانسان ابواب المعرفة عمَّا مضى وعمَّا سيأتي »

ولقد تغيَّر العالم تغيُّرًا عظيماً منذ سنة ١٨٣١ الى الآن فان انتشار سكك الحديد والسفن البخارية ساعد على سكنى بلدان لم تكن مسكونة او لم يكن السكن فيها ممكنًا وتسهَّل

نقل الاخبار بواسطة البريد والتلغراف والتلفون وتلغراف مركوني ورخص جدًّا فسهلت المعاملات واتَّسعت وتنوعت . وتقدَّم فن الهندسة حتى لم يعد احد يسأَل هل هذا العمل او ذاك متعذّر بل صار السؤَال هل منهُ ربح كاف . وجملة القول ان نوع الانسان أَلف تطبيق العلم على العمل وصار يصدّق كل ما يقال لهُ باسم العلم

وأُدخل تعليم مبادىء العلوم الطبيعية في كل المدارس الابتدائية تقريبًا وصار صغار الطلبة يتعلمون مبادئ الطبيعيات والكيمياء وعرف الناس فائدة التخرُّج في العلوم الطبيعية (وهنا التفت الخطيب الى التعليم المجاني في المدارس العالية وذمهُ قائلاً انهُ نوع من الكدية واستطرد الى ذم طرق الامتحان الجارية في بلاد الانكليز لانها لا تدلُّ على اخلاق التلميذ ومقدرتهِ العلمية وفضَّل عليها ترك الحكم في مقدرة كل تلميذ الى الاستاذ الذي يعلمهُ واشار بأَن يطلب من كل تلميذ يتعلَّم مجانًا ان يوفي ما أُنفق عليهِ حالما تمكنهُ الفرصة من ذلك وان تؤَلف شركة تأمين رأس مالها نحو سبعة ملايين جنيه تنفق ريع هذا المال على تعليم التلامذة في المدارس العالية ثم تسترد منهم ما انفقتهُ عليهم مع الربا واشار ايضًا بان تزاد اجور الاساتذة حتى يغرى بالتعليم كبار العلماء الراسخين)

ثم استطرد الى الكلام على موضوعهِ وهو البحث في تقدم علم الكيمياء الذي هو مشتغل بهِ فقال ما خلاصتهُ

استعمل اليونان الاقدمون كلمة عنصر وارادوا بها صفة من صفات المادة لا الشيءُ الذي تتألف المادة منهُ . فاذا قالوا ان في هذا الجسم نارًا او هواءً او ماءً او ترابًا عنوا ان فيهِ صفات النار او الهواء او الماء او التراب . فاذا كان قابلاً للاشتعال قالوا ان النار كامنة فيهِ واذا خرجت منهُ اهوية حينما يحمى قالوا ان فيهِ هواءً واذا كان فيهِ صلابة قالوا ان فيهِ ترابية واذا كان فيهِ سيولة قالوا ان فيهِ مائية . ثم اضاف اهل الكيمياء ثلاثة عناصر اخرى وهي الملح والكبريت والزئبق وقالوا ان الاول يكوّن الذوبان والثبوت في البناء والثاني يكوّن الاشتعال والثالث يكوّن السيولة المعروفة بالبلغمية

واول مَن ناقض هذه الاوهام روبت بويل وهو اول مَن خصَّ العنصر بالمعنى الذي نعنيهِ الآن اي الاصل الذي يتركب منهُ الجسم المركَّب . ولكن الكيمياء لم تتقدَّم في عصرهِ ولا في العصر الذي بعدهُ . ثم قام ستهل في القرن الثامن عشر وقال ان الاجسام كلها مركبة من الكلس لانها تتكلَّس اذا حرقت وتعود الى اصلها اذا دخلتها المادة التي خرجت منها

بالاحتراق وسمّي هذه المادة بالفلوجستن ووضع اول عبارة كيماوية وهي

المعدن — الفلوجستن = الكلس
والكلس + الفلوجستن = المعدن

ولا يُعلم في اي وقت عرف الكيماويون ماهية العناصر الكيماوية ولا ما هو اول عنصر قالوا انهُ عنصر لكن لافوازيه نشر سنة ١٧٨٩ كتاباً في الكيمياء قال في مقدمتهِ « اذا اردنا بالعناصر الدقائق البسيطة التي لا تتجزأ ومنها تتركب الاجسام فالمرجح اننا لا نعرفها ولكن اذا اردنا بها آخر ما يصل اليهِ التحليل فكل مادة لا نستطيع حلها هي عنصر في نظرنا لا لانها بسيطة بالذات غير مركبة من عنصرين او اكثر بل لان عناصرها لا تنحل بعضها عن بعض او لاننا لا نعرف الوسائل التي يمكن حلها بها ولكن لا يحق لنا ان نحسبها بسيطة ما لم تقم الادلة على بساطتها »

ورأى لافوازيه ان القلقطار من اكاسيد الحديد ورأى الكيماويون المشابهة بينهُ وبين الحديد المعدني وبين المعادن واكاسيدها فقالوا ان الاجسام التي تفعل كالاكاسيد باذابتها في الحوامض وتكوينها الاملاح يجب ان يكون لها اصل معدني

وسنة ١٨٠٧ اثبت السر همفري داڤي صحة هذا القول في الصودا والبوتاسا بحلها بالكهربائية فانهُ حلّهما الى اكسجين وهيدروجين وصوديوم معدني وبوتاسيوم معدني. ثم حلّ الكلسيوم والباريوم والسترنتيوم والمغنيسيوم من الكلس والباريتا والسترنتيا والمغنيسيا . وبيَّن داڤي ان غاز الكلور الذي استخرجهُ شيل عنصر وبعد ذلك كشف اليود والبروم وبقي من عناصر الاملاح الهيلوية الفلور فاستخرجهُ مواسان منذ عهد غير بعيد

وعاد دلتُن الكيماوي الى رأي اليونان القدماء في امر الجوهر الفرد وقال ان لكل جوهر وزناً محدوداً وكان ذلك سنة ١٨٠٣ ونشر رأيهُ هذا سنة ١٨٠٧ ثم فصّلهُ سنة ١٨٠٨ في كتابهِ نظام الفلسفة الكيماوية ومفادهُ ان الاجسام المركبة مؤلفة من جواهر العناصر الداخلة في تركيبها على نسب محدودة . لكن البعض ظنوا من ذلك الوقت ان العناصر نفسها قد تكون مركبة كالاجسام المركبة . وكتب داڤي سنة ١٨١١ « ان البحث في هل يمكن تركيب العناصر وتحليلها غرضٌ من اسمى اغراض الفلسفة » . وجرى فاراداي تلميذهُ مجراهُ حيث قال سنة ١٨١٥ « ان لدى الكيماوي مسائل يُطلَب منهُ حلها وهي تحليل العناصر وتركيبها واثبات تحويل بعضها الى بعض الامر الذي حُسب قبلاً من الاوهام الخرافية »

وترجّح لدى العلماء حينئذٍ وحدة المواد كلها كما ذهب الاقدمون . وحاول البعض ان

يثبتوا بالدليل ان وزن الجواهر الفردة هو مضروب وزن جوهر واحد ظُنَّ اولاً انهُ الاكسجين ثم ظُن انهُ الهيدروجين ، ولا يزال العلماء يدققون في وزن الجواهر الفردة ليروا هل يدلُّ وزنها على انها مركبة اصلاً من جوهر واحد (وافاض الخطيب في هذا الموضوع وذكر كيف توصَّل منديليف الكيماوي الروسي الى اكتشاف النظام الدوري وما كشف بهِ من العناصر الى ان اتصل الى الراديوم فقال)

ان اول مَن درس املاح الراديوم مدام كوري فوجدت انها تماثل املاح الباريوم فالكبريتات والكربونات والكرومات لا تذوب وكلوريد الراديوم وبروميدهُ يشبهان في تبلورهما كلوريد الباريوم وبروميدهُ. والمعدن نفسهُ (وقد استخرجتهُ مدام كوري حديثاً) ابيض يحل الماء ويظهر انهُ من فصيلة الباريوم وثقلهُ الجوهري كما انبأَت عنهُ مدام كوري وكما انبأَ الاستاذ ثورب يزيد ٨٩,٥ على ثقل الباريوم الجوهري. ولا شبهة في ان هذا العنصر يشغل المكان المعد لهُ في جدول النظام الدوري وان وزنهُ الجوهري ٢٢٦,٥ ولا شبهة في انهُ عنصر

لكن هذا العنصر غريب في اطوارهِ لانهُ لا يستقرُّ على حالهِ فاذا حفظنا درهمًا منهُ ١٧٦٠ سنة لم يبقَ منهُ عندنا سوى نصفهِ ويتحول النصف الآخر الى عناصر اخرى. فقد ابان رذرفرد وسودّي انهُ يخرج منهُ غاز يقبل التكاثف سمَّياهُ متصعد الراديوم او بخار الراديوم واكتشفتُ انا وسودي سنة ١٩٠٣ انهُ يخرج منهُ ايضاً هليوم وهو عنصر غازي مثل الارغون ولا شبهة في انهُ عنصر بسيط ولهُ طيف مخصوص. وقد سُيِّل بخار الراديوم وجُمّد في كلية لندن الجامعة وقيس طيفهُ وعرفت كثافتهُ . والثقل الجوهري يعرف من الكثافة فاذا هو مماثل للارغون. والسلسلة كلها هي الهليوم ووزنهُ الجوهري ٤ والنيون ووزنهُ ٢٠ والارغون ٤٠ والكربتون ٨٣ والكسينون ١٣٠ وعنصر مجهول ووزنهُ ١٧٨ والنتون (اي هذا البخار) ووزنهُ ٢٢٢,٤ ولذلك يمكن وضع معادلة للراديوم وما يتولَّد منهُ هكذا

راديوم (٢٢٦,٤) = هليوم (٤) + نتون (٢٢٢,٤)

والنتون ينحلُّ وانحلالهُ اسرع من انحلال الراديوم فان نصفهُ ينحل في نحو اربعة ايام وتخرج منهُ مادة سماها رذرفرد راديوم ا ترسب من النتون مثل معدن ويتولد حينئذٍ شيءٌ من غاز الهليوم وتكون العبارة الكيماوية لذلك هكذا

نتون (٢٢٢,٤) = هليوم (٤) + راديوم ا (٢١٨,٤)

وراديوم ا ينحلُّ نصفهُ في ثلاث دقائق ويتولَّد منهُ هليوم وراديوم ب كما ترى في هذه العبارة

راديوم ا (٢١٨,٤) = هليوم (٤) + راديوم ب (٢١٤,٤)

وراديوم ب ينحل نصفهُ في ٢٧ دقيقة الى راديوم ج^{١} ولكن لا يتولَّد منهُ هليوم هذه النوبة بل جواهر الكهربائية السلبية التي اطلق عليها الدكتور ستوني اسم الالكترونات . وراديوم ج^{١} ينحل نصفهُ في ١٩ دقيقة ونصف دقيقة و يتولَّد منهُ راديوم ج^{٢} وهليوم هكذا

راديوم ج^{١} (٢١٤,٤) = هليوم (٤) + راديوم ج^{٢} (٢١٠,٤)

وفي دقيقتين ونصف ينحلُّ راديوم ج^{٢} الى راديوم د والكترونات وهذا الراديوم اي راديوم د طويل الحياة ينحل نصفهُ في ست عشرة سنة ونصف سنة ففيها مهلة طويلة للبحث الكيماوي و يتحول هذا النصف الى راديوم ه فقط . و ينحلُّ نصف راديوم ه في خمسة ايام ويتحول الى راديوم و وهو العنصر الذي أُطلقت عليهِ مدام كوري اسم البولونيوم نسبة الى بولونيا وطنها الاصلي . ويتحول نصف البولونيوم في ١٤٠ يومًا الى معدن مجهول يظن انهُ رصاص و يفقد جوهراً من الهيدروجين فتكون عبارتهُ الكيماوية هكذا

بولونيوم (٢١٠,٤) = هليوم (٤) + رصاص (٢٠٦,٤)

ولكن ثقل الرصاص الجوهري ٢٠٧,١ لا ٢٠٦,٤ غير انهُ يحتمل ان يكون ثقل الراديوم الجوهري ٢٢٧,١ فينطبق حينئذٍ الوزن الاخير على وزن الرصاص الجوهري

و يمكن اظهار هذا الامر على صورة اخرى وهي ان الاورانيوم هو اصل الراديوم على ما هو مرجَّح وان الراديوم يتولَّد من الاورانيوم بخروج ثلاثة جواهر هليوم ووزن الهليوم الجوهري ٣,٩٩٤ ووزن الجواهر الثلاثة ١١,٩٨ او ١٢ تقريبًا ووزن الاورانيوم الجوهري ٢٣٩ على ما وجدهُ كلارك او ٢٣٩,٤ على ما وجدهُ رتشردس ومريغولد فاذا طرحنا منها ١٢ بقي ٢٢٧ او ٢٢٧,٤

واهم ما في هذا البحث اننا عرفنا بهِ لاول مرة تولُّد عنصر من عنصر آخر

وقد اتَّجهت الافكار حديثًا الى القوة العظيمة المذخورة في الراديوم والعناصر المتولدة منهُ فانهُ يخرج منهُ من الحرارة وقت تولُّد النتون ما لو جُمع لساوى ثلاثة ملايين ونصف مليون القوة التي تتولد ممَّا يماثلهُ حجماً من الغاز المفرقع (اي الغاز المؤلف من جرم من الاكسجين وجرمين من الهيدروجين) واكثر هذه القوة حاصل من انفجار دقائق الهليوم بسرعة فائقة.

و يسهل ايضاح مقدارهذه القوةبهذا المثل :— لنفرض اننا وجدنا طنًّا من الراديوم واستعملنا قوتهُ في ثلاثين سنة اي وزعناها على ايام هذه السنين (بدلاً من ان يظهر نصفها في ١٧٦٠ سنة) فانها تكون كافية لتسيير سفينة كبيرة محمولها ١٥٠٠٠ طن بسرعة ١٥ ميلاً بحريًّا في الساعة مدة ثلاثين سنة. وتسيير هذه السفينة كل هذه المدة يقتضي مليونًا ونصف مليون طن من الفحم الحجري (ففي الطن من الراديوم قوة قدرما في ثلاثة ملايين طن من الفحم الحجري)

وقد حاولتُ استخدام القوة التي في النتون لاغراض مختلفة فوجدتها تحل الماء والامونيا وكلوريد الهيدروجين واكسيد الكربون الثاني الى عناصرها ثم امتحنت فعلهُ باملاح النحاس فظهر لي ان بعض النحاس يتحوَّل الى ليثيوم وهو من صف الصوديوم. وظهر من تجارب اخرى لا وقت لشرحها ان عناصر الثوريوم والزركونيوم والتيتانيوم والسليكون تتحول كلها الى كربون بواسطة قوة النتون لانها اذا مزجت بهِ تولَّد منها اكسيد الكربون الثاني كأَنَّ جواهر الهليوم الصادرة من النتون تصدم جواهرها صدمًا عنيفًا فتحلها وتحولها الى كربون. واذا كان الراديوم والعناصر التي تتولَّد منهُ تنحلُّ كلها من تلقاء ذاتها فعلى مَ لا تنحلُّ جواهر العناصر الاخرى اذا تعرَّضت لصدم عنيف مثل صدم دقائق الهليوم لها

وان كان في الراديوم هذه القوة العظيمة وهو معرَّض دائمًا لاظهارها افلا يمكن استخدامها لعمل الاعمال كاستخدام حرارة الفحم والجواب بلى ولكن مقدار الراديوم قليل جدًّا وما يمكن ان يستخرج منهُ في السنة لا يزيد على نصف اوقية والقوة المذخورة في الراديوم يوجد مثلها في كل العناصر وتخرج منها اذا انحلَّت لكن انحلالها بطيءٌ جدًّا على ما يظهر فاذا وجدت طريقة لحلها بسرعة فلا عجب اذا تغير مستقبل الانسان

ان ارتقاء نوع الانسان نتج عن ان بعض افرادهِ اكتشفوا وسائل لجمع القوَّة وتحويلها من نوع الى آخر فالضواري تضرب ببراثنها وتنهش باسنانها والانسان الاول استعان بالعصا على جمع قوتهِ وتوجيهها الى ما يريد ضربهُ. واول انسان استعمل الحربة وجد ان قوة يدهِ تجتمع في رأسها ثم استنبط السهم وهوحربة يرمي بهاعن بعد فتنقل قوتهُ مجتمعةالى ما تصيبهُ. والرصاصة التي تطلق من البندقية بانفجار البارود فيها قوة عظيمة متجمعة في حجم صغير

وقد نجح الناس في القرن الماضي في تحويل القوة من صورة الى صورة اخرى باقل ما يكون من الخسارة. فالآلة البخارية المتقنة تحوّل نحو ثمن قوَّة الوقود الى حركة وما بقي من قوتهِ وهو سبعة اثمانها يضيع حرارةً وفركًا. والآلة الغازية المتقنة تحول اكثر من ثلث القوة التي

في الوقود الغازي الى حركة ولا يضيع الاَّ ثلثا تلك القوة . ولا بدَّ من ان يضيع شيء من القوَّة وهي تتحوَّل من صورة الى اخرى وغاية ما يسعى اليهِ اهل الاختراع الآن ان يقللوا مقدار القوة التي تضيع ولا يستفاد منها

وسيبقى اواسط القرن التاسع عشر مشهوراً بالرجال العظام الذين قاموا فيهِ واهتموا بتحويل القوة من صورة الى صورة مثل كرنو وكلوسيوس وهلمهلتز ويوليوس وروبرت مير وطمسن ولورد كلفن واخيهِ جمس طمسن ورنكن وتايت وجول وكلارك مكسول وكثيرين غيرهم . فابان نيوكم ووط اولاً ان القوة الكامنة في الوقود تتحوَّل الى حركة بواسطة الآلة البخارية وابان فراداي ان الحركة الحاصلة من الآلة البخارية يمكن تحويلها الى كهربائية والكهربائية يمكن تحويلها الى حركة وهذه القوة هي التي جلعت سكان هذه البلاد في سعة من العيش

يوافقني جمهوركم على ان اهالي اثينا بلغوا في سالف عهدهم غاية ما وصل اليهِ الناس في الآداب والفلسفة وسبب ذلك ان فريقاً كبيراً منهم كان في سعة من العيش فتيسَّر لهم ان يتفرغوا للنظر والبحث . وان قيل كيف اتيحت لهم سعة العيش والتفرُّغ للبحث قلت انهُ كان عند كل اثينيّ خمسة عبيد على التعديل طوع امرهِ يخدمونهُ ويعملون في حقلهِ ويقومون بكل ما يحتاج اليهِ من الاعمال ويراد بالاثيني الرجل واهل بيتهِ . ونحن في البلاد الانكليزية احسن منهم حالاً فان عددنا ٤٥ مليونًا ونحن نحرق في معاملنا ٥٠ مليون طن من الفحم الحجري سنويًّا وهي تساوي قوة سبعة ملايين حصان في السنة وقوة الحصان تساوي قوة ٢٥ رجلاً فقوة آلاتنا البخارية التي تخدمنا تساوي قوة ١٧٥ مليون رجل فاذا حسبنا ان الرجل منا واهل بيتهِ خمس انفس فنحن ٩ ملايين عائلة فلكل عائلة منا عشرون عبداً يخدمونها وقد كان متوسط ما عند العائلة الاثينية خمسة عبيد فقط . ولسنا اوفر من الاثينيين سعةً ولكن هذه القوة البخارية هي التي تمكننا من المعيشة بالرخاء

والقوة المذخورة في ارض الجزائر البريطانية محدودة اريد بها مناجم الفحم الحجري . والمقدار الذي نستخرجهُ منها يزيد سنة بعد سنة ففي سنة ١٨٧٠ استخرجنا ١١٠ ملايين طن ومن ثمَّ الى الآن والزيادة في المستخرج تبلغ ثلاثة ملايين وثلث مليون طن كل سنة . وكل الفحم الباقي في مناجم هذه البلاد يبلغ نحو ١٠٠٠٠٠ مليون طن فاذا جرينا في استخراجهِ على النمط الذي جرينا فيهِ حتى الآن نفد كلهُ في ١٧٥ سنة . وقد يقال ان هذه المدة طويلة جدًّا فعلى مَ نحمل هَمَّ الذين يأتون بعدها اما انا فاقول ان ١٧٥ سنة ليست شيئًا مذكوراً في

حياة الامم ونحن يتوقف تفوُّقنا بين امم الارض في التجارة على رخص الفحم الحجري عندنا فاذا غلا ثمنهُ بقلة ما نستخرجهُ منهُ دنا منا الجوع والبؤْس

ولما انعمتُ النظر في هذا الموضوع منذ سنوات قليلة اشرت بانتداب لجنة للبحث عمَّا عندنا من مصادر القوة تؤَلف من فريق العلماء الذي انشأَهُ السر نورمن لكير على اثر توليهِ رئاسة هذا المجمع لكي يقنع الحكومة والامة بما يجب عملهُ او تلافيهِ من باب علمي. وقد انضم الى فريق العلماء هذا كثيرون من الثقات في كل الفروع العلمية فبحث كلٌّ منهم عن مصدر القوى الذي يتعلق بعلمهِ. ومما بحثوا عنهُ غير الفحم الحجري من مصادر القوة المدّ والجزر وحرارة باطن الارض وحركة الرياح وحرارة الشمس وانحدار المياه وتوسيع الحراج وحرق الحطب والبيت (١) وانحلال العناصر

ولا يسعني الوقت للتكلم على هذه الامور كلها بالاسهاب مع ما في الكلام عليها من الوقع في النفوس وحسبي ان اقول ان الذي بحث في حرارة باطن الارض قرَّر اننا لا نستطيع الانتفاع بها في هذه البلاد. وقرر غيرهُ انهُ يمكن الانتفاع بشيءٍ من قوة المد والريح والماء ولكنهُ قليل جدًّا لا يذكر في جنب القوة المستخرجة من الفحم الحجري. ولا امل لنا بالانتفاع من قوة حرارة الشمس في هذه البلاد. ومن الحماقة ان ننظر الآن الى الانتفاع بقوة انحلال العناصر لاننا لا نستطيع ان نجعل انحلالها سريعًا كما لا امل لنا بالوصول الى استخدام دوران الارض على محورها ولا دورانها حول الشمس

اما الغابات او الحراج فلها شأن آخر وكذلك مجاميع البيت فان جيراننا الالمان والفرنسيين ينفقون مليوني جنيه كل سنة على حفظ الغابات ويربحون منها كل سنة ربحًا صافيًا يساوي ستة ملايين من الجنيهات. ولا شبهة في اننا نستطيع ان نجري مجراهم واذا زادت حراجنا زادت قوتنا المائية لان الارض العارية من الشجر تنصب مياه المطر عنها سريعًا وتجري الى البحر واما الاراضي الشجراء فيبقى اكثر الماء فيها ويجري مع ينابيعها فتزيد فيها القوة المائية

وقد اشار بعضهم باساليب مختلفة للانتفاع بالبيت لكنني ارى ان تجفيفهُ متعذر في بلادنا لقلة جفاف الهواء فيها ولذلك يجب ان يبقى اعتمادنا على الفحم الحجري والاقتصاد في استعمالهِ. ولهذا الاقتصاد اساليب كثيرة منها استعمال آلة التربين بدل الآلة البخارية العادية

---

(١) البيت مواد نباتية ترسب في المستنقعات فتصير كالفحم الحجري وتجفف وتحرق مثلهُ

فيتوفر خمسون في المئة من الفحم. واستعمال الآلة الغازية بدل التربين فيتوفر ثلاثون في المئة من الباقي. والآن نحرق اربعة ارطال الى خمسة في الآلات البخارية العادية حتى نستخرج منها قوة حصان واحد فنصير نحرق رطلاً الى رطل وربع رطل لاستخراج قوة الحصان. ولكن لا بدَّ من استخراج هذه القوة عند افواه المناجم وتوزيعها على المعامل بالكهربائية حتى يحصل هذا الاقتصاد. ويمكن اتباع الاقتصاد الكثير في الاتاتين والافران باستخدام ما يسمَّى منها بافران التعويض فقد بيَّن الدكتور بلبي انهُ توفر بهذه الواسطة نحو ثلاثة ملايين طن سنة ١٩٠٩ من ١٨ مليون طن. وان استنبطت طريقة لتحويل قوة الفحم الحجري الى قوة كهربائية مباشرةً ففي ذلك اكبر اقتصاد

واشير في الختام بان يزيد الاعتناءُ بدرس العلم لذاتهِ مجرَّداً عن الفوائد المادية التي يمكن ان تنتج عنهُ فانهُ يوسع العقل ويرشد الى ما منهُ النفع المادي واصلاح شأن الانسان

معهد ركفلر

من مقالة للمستر ولتر ريتشارد ايثن نشرت في مجلة منسي الاميركية

ان علم البكتيريا الحديث العهد الذي كان من نتائجهِ معرفة اسباب التدرُّن (السل) والطاعون والكولرا والدفتيريا والحمى التيفويدية والالتهاب السحائي الشوكي وما اشبه من الامراض والذي جعلنا نفوز بعض الفوز في محاولتنا التخلص من بعضها ليس الاَّ نتيجة البحث المستمر بالصبر والدقَّة وعمل التجارب في بعض الحيوانات. والفضل في ذلك ليس للاطباء الذين يزاولون صناعة الطب بل للعلماء منهم الذين اوقفوا حياتهم للبحث ولم يكن تطبيبهم قائماً الاَّ في تعليم الآخرين كيف يطببون

هذه هي الاسباب التي دعت ركفلر الى انشاء معهد الابحاث الطبية وايقاف مليوني جنيه لهذا الغرض

والاطباء الذين يشتغلون في الابحاث الطبية وتكون ابحاثهم اساساً لترقية العلوم الطبية لا يأخذون اجرة على تطبيبهم لان مرضاهم الكلاب والقطاط والفيران والقرود وخنازير الهند فلا يتمكن الواحد منهم من الاستمرار على عملهِ ما لم يكن ذا ثروة ينفق منها على نفسهِ وعلى ابحاثهِ او يكن عملهُ في احد المعاهد التي لها مال موقوف عليها. وهذه المعاهد قديمة في فرنسا

منها معهد باستور انشئ سنة ١٨٨٥ باكتتاب الامة بعد اكتشاف علاج الكَلَب . وفي انكلترا والمانيا معاهد اخرى شبيهة بهِ اما في اميركا فقد كنا نتوقع ان يتقدم احد اغنيائنا ذوي الثروة الطائلة وينشئ معهداً للبحث مدفوعاً الى ذلك بداعي الانسانية والميل الى العلم . وقد رأى المستر جون ركفلر حاجة البلاد الى معهد كهذا فانشأ معهداً في مدينة نيويورك يعد من افضل المعاهد التي من نوعهِ . ولهذا المعهد بناء خاص مؤلف من خمسة ادوار ولهُ مستشفى للمعالجة والتجربة وفيهِ اكثر من ثلاثين طبيباً من نخبة الاطباء تحت ادارة الدكتور فلكسنر ولكل منهم راتب كبير ينفق منهُ لكنهُ اقل كثيراً مما قد يكتسبهُ لو زاول صناعة التطبيب . وقد حُظر على هؤلاء الاطباء مزاولة صناعتهم فينصرفون بكل قواهم للاشتغال في هذا المعهد والبحث في ما يؤول الى تقدم العلوم الطبية وفائدة الجنس البشري

وقد حذا بعض اغنيائنا حذو المستر ركفلر فصار عندنا عدة معاهد من هذا النوع منها معهد البحث في الامراض المعدية الذي انشأهُ المستر هرولد ماكورماك وقرينتهُ في شيكاغو ومعهد البحث في التدرُّن وفي علاجهِ ووسائل منعهِ الذي انشأهُ المستر فبس وقسم الابحاث الكيماوية والبيولوجية في معهد كارنجي في وشنطن

وقد يسأل القارئ ما فائدة البشر من هذه التجارب التي تفوق الحصر والتي يقوم بها الاطباء في معهد ركفلر وغيرهِ من المعاهد مع ما فيها من الدقة وشدة الاعتناء . فالقائلون بعدم تعذيب الحيوانات وعمل هذا التجارب فيها يدَّعون ان لا فائدة منها فلننظر الآن في صحة قولهم

مقاومة الالتهاب السحائي الوافد

من اهم الاعمال التي عملت في معهد ركفلر البحث في الداء المعروف بالالتهاب السحائي الوافد واكتشاف المصل الشافي منهُ فهذا الاكتشاف وحدهُ قد انقذ مئات من الناس وسينقذ الوفاً غيرهم وقد كان نتيجة البحث المستمر والتجارب العديدة في الحيوانات ولاسيما القرود وبلغ عدد الحيوانات التي ذهبت ضحية لهذا الاكتشاف نحو مئتي حيوان ولولاها ما امكن الوصول اليهِ لكن من العبث البحث في هذه المسألة مع مَن يرى ان حياة القرد اعز لديهِ من حياة ابنهِ او ابنتهِ

الالتهاب السحائي انواع منها الالتهاب السحائي الوافد وسببهُ باشلُّس معروف وهو مرض معدٍ اكثر ما يصيب الاطفال لكنهُ ليس خاصاً بهم . وقد فشا في نيويورك سنة ١٩٠٥ وانتشر منها الى سائر الولايات ولا يزال يظهر في بعضها حيناً بعد آخر وحدثت عدة اصابات

بهِ في الشتاء الماضي بين ركاب الدرجة الثالثة في باخرة قدمت من بلاد اليونان ورست في ميناء نيو يورك واصيب بها طبيب شاب في المحجر الذي انزل اليهِ الركاب وتوفي (١)

ومعدل الوفيات بهذا المرض نحو ٨٠ في المئة فهو داءٌ قتَّال قلما ينجو من يصاب بهِ ما لم يشخصهُ الطبيب في اول الاصابة ويحقن المريض بالمصل الشافي باسرع ما يمكن من الوقت

فالبحث التام في هذا الداء يقتضي اموراً كثيرة منها فصل الباشلس الذي يسببهُ وتربيتهُ على حدة ونقلهُ الى الحيوانات التي تصاب بهِ ومعرفة طرق العدوى وملاحظة ادوار المرض. ثم اذا اردنا ان نكتشف مصلاً شافياً منهُ اقتضى ذلك تجارب كثيرة في الحيوانات ربما كانت سبباً في موت عدد كبير منها

وقد وجد الدكتور فلكسنر ان الالتهاب السحائي الوافد يمكن نقلهُ الى القرود اذا حقنت بجراثيمهِ فاخذ ينقلهُ من قرد الى آخر ويلاحظ فعلهُ في الانسجة ووجودهُ في اماكن اخرى من الجسم غير الحبل الشوكي كما في الانف مثلاً مما يشير الى الطريق التي تنتقل بها العدوى في الانسان ثم اخذ يبحث في الطرق التي يمكن التوصل بها الى اكتشاف المصل الشافي او الواقي منهُ

والوقاية من بعض الامراض معروفة منذ زمان قديم منها التلقيح للوقاية من الجدري على ان المبادئ المبنية عليها هذه الوقاية كانت مجهولة وهي اكثر وضوحاً في ايامنا لكن اسرارها النهائية من كيماوية او عضوية لا تزال غامضة

والوقاية اساسها الحقيقة الآتية وهي ان الدم متى دخلت فيهِ جراثيم مرض من الامراض ينشأُ فيهِ بعض الخواص التي تجعلهُ يقاوم هذه الجراثيم ويقتلها ولولا ذلك لكان كل احد منا قد توفي قبل الآن بمرض من هذه الامراض

والكريات البيضاءُ ميّالة من طبعها الى امتصاص الجراثيم التي تدخل الدم فتفترسها افتراساً. ويظهر انها تفرز ايضاً ترياقاً يقاوم السم الذي تفرزهُ الجراثيم فمتى شفي الانسان من الحمى الصفراء او الجدري مثلاً بقيت في دمهِ هذه الخواص التي يقاوم بها جراثيم الداء فلا يصيبهُ مرة اخرى ويقال لهذه المقاومة المناعة الطبيعية

كيف تنشأُ المناعة

ان من اهم الغنايات التي يسعى اليها الطب الحديث اكتشاف الوسائل الصناعية التي

---

(١) (المقتطف) هذا الداء معروف في مصر والسودان وقد حدثت عدة اصابات بهِ في مدينة القاهرة هذه السنة

تسبب هذه المناعة او تنبّه القوى التي تقاوم الجراثيم في الدم · فمن هذه الوسائل التلقيح للوقاية من الجدري وقد اكتشفهُ السر وليم جنر منذ مئة سنة ومنها علاج الكَلَب والدفثيريا ويختلف عن التلقيح للوقاية من الجدري بان التلقيح يكون قبل الاصابة بالداء وعلاج الكَلَب والدفثيريا يكون بعد دخولها الى جسم الانسان

وقد اخذ الدكتور فلكسنر يبحث في الوقاية من الالتهاب السحائي فبدأ تجاربهُ في القرود وغيرها من الحيوانات · والجراثيم يضعف فعلها بتقليل عددها او تعريضها لدرجة معلومة من الحرارة وما اشبه فلقّح حيوانًا بجرعة صغيرة جدًّا من جراثيم الالتهاب السحائي واخذ يزيد الجرعة تدريجًا من غير ان يصاب الحيوان باذية منها لان الدم يكتسب بدخول هذه الجراثيم في الجسم بعض الخواص التي تجعلهُ يقاومها · فالمسأَلة اذاً ليست سوى معرفة الجرعة التي يمكن ان يلقّح بها هذا الحيوان من غير ان تؤْذيهُ بشرط ان تكون كافية لجعل دمهِ يكتسب الخواص اللازمة لمقاومة جراثيم الداء فانهُ اذا أُخذ المصل المستخرج من هذا الدم وحقن بهِ حيوان مصاب بالمرض نفسهِ اكتسب دمهُ الخواص التي تجعلهُ يتغلب على الداء

ومما يزيد هذه الامور اشكالاً ان مصل الدم الذي فيهِ هذه الخواص اذا اخذ من حيوان وحقن بهِ حيوان آخر من نوع مختلف ربما سبب موت ذلك الحيوان فمصل المعزى اذا كان فيهِ الخواص التي تكسبهُ الوقاية من الالتهاب السحائي يقتل القرود متى حقنت بهِ لكنهُ يشفي خنازير الهند من الداء نفسهِ لكن مصل دم القرود يفيد القرود المصابة متى حقنت بهِ في الحبل الشوكي كذلك مصل الخيل فانهُ يشفيها منهُ متى كانت مصابة بهِ · ولمَّا كان هذا الداء في القرود شبيهاً بهِ في الانسان اخذ الدكتور فلكسنر يجرب مصل الخيل في المصابين بالالتهاب السحائي فنجح في ذلك نجاحًا كبيراً وكان عدد المصابين الذين عولجوا اولاً بهذه الطريقة اربعمئة فشفي منهم ثمانون في المئة وقد كان عدد الوفيات قبلاً ثمانين في المئة كما مر

وقد بيَّنت هذه التجارب انهُ اذا أُسرع في الحقن كانت الفائدة اتم فسرعة التشخيص وصحتهُ على جانب عظيم من الاهمية وربما كان التأْخير ولو ٢٤ ساعة سبباً في موت المريض

لقد قيل انهُ يقتضى مئة الف تجربة على الاقل لاثبات قاعدة من القواعد الطبية فالمرضى الذين عولجوا بطريقة الدكتور فلكسنر لم يبلغوا هذا العدد لكنهم كثيرون جدًّا وقد أُرسل المصل الى جميع انحاء العالم وتدلُّ التجارب كلها على ان الذين يشفون بهِ لا يقلون من ٧٥ في المئة وهي نتيجة حسنة جدًّا

هذا وقد بينت تجارب الدكتور فلكسنر ان هذا الداء ينتقل الى الانسان بطريق

الانف وانهُ شديد العدوى فيجب على الاطباء وممرضيهم شدة الاحتراس منهُ وهذا الاكتشاف ليس اقل قيمة من اكتشاف المصل الشافي

السرطان وغوامضهُ

ولنبحث الآن في ما فعلهُ معهد ركفلر في كشف غوامض السرطان وهو من اشد الادواء التي تصيب البشر ولا يزال في ازدياد حتى صار عدد الوفيات بهِ بين النساء في بلاد الانكليز اكثر من الوفيات بالسل

وما برح الاطباء يبحثون في السرطان منذ مئات من السنين ولم يصلوا الى معرفة حقيقتهِ فلما اشتهر امر الجراثيم وعلاقتها بالامراض اخذ الباحثون يفتشون عن جراثيم السرطان فلم يعثروا عليها ولا تمكنوا من نقلهِ من حيوان الى آخر فصار الرأي المعوَّل عليهِ ان سبب السرطان تغيُّر في خلايا الجسم

ثم وُجد منذ عشر سنوات ان هذا الداء يمكن نقلهُ من حيوان الى آخر واتضحت بعد ذلك امور اخرى منها ان السرطان الذي ينمو في الفيران التى تطعم لبنًا لا ينمو في الفيران التي طعامها المواد النشوية والسكرية فقويت الآمال باكتشاف الطرق التي تؤَدي الى شفائهِ

وقد بينت التجارب ايضًا ان الحيوانات قد تكتسب المناعة منهُ فانهُ اذا نقل اليها بعض الخلايا السرطانية الضعيفة وشفيت منها لا تعود تصاب بهذا الداء ولو نقل اليها اخبث انواعهِ

فهذه الاكتشافات نبهت الباحثين في معهد ركفلر فشمروا عن ساعد الجد واخذوا يوالون البحث فتقدم الدكتور بيتن روس خطوة اخرى في كشف غوامض السرطان فانهُ اخذ يجرب انماءَهُ في الدجاج فوجد ان نقلهُ من دجاجة الى اخرى اعقابًا متوالية يزيدهُ خبثًا حتى يبلغ درجة كبيرة من سرعة النموّ ورأى انهُ ربما يسهل عليهِ اكتشاف سبب العدوى بالبحث في هذا السرطان الخبيث فاخذ جزءًا منهُ وعصرهُ وصفاهُ بمرشح بركفيلد وهو صغير المسام جدًّا لا تنفذهُ الخلايا ولا اصغر الجراثيم التي يمكن رؤيتها بالمكرسكوب . فصار لديهِ سائل خال من الخلايا والجراثيم التي يمكن رؤْيتها بالمكرسكوب . ولكي يتأَكد خلوَّهُ من الخلايا عالجهُ بالوسائل المعروفة لقتلها ثم لقَّح بهِ الدجاج فاحدث فيها اورامًا سرطانية خبيثة جدًّا فثبت بذلك ان السرطان ليس مرضًا يتولد لذاتهِ في الخلايا بل سببهُ اما جراثيم صغيرة جدًّا لا ترى بالمكرسكوب او مادة كيماوية ولما كانت المواد الكيماوية التي تفرزها الخلايا لا تسبب مرضًا من الامراض على ما نعلم كان سبب السرطان جراثيم متناهية في الصغر على الراجح شأن غيرهِ من الامراض التي سببها اشباه هذه الجراثيم

ولمّا كانت طرق العدوى معروفة في كثير من الامراض التي منشأُها الجراثيم وصار في الامكان الوقاية منها باكتشاف المصل الشافي او الواقي فلا يبعد ان يكتشف شيءٌ من هذا في ما يتعلق بالسرطان وذلك بفضل التجارب التي تعمل في معهد ركفلر وغيرهِ من المعاهد العلمية (ستأْتي البقية)

جوهرة الهوى

[المقتطف] دعي مصطفى افندي صادق الرافعي الى الخطابة في نادي الاميركان بطنطا فالقى موضوعاً نسائيًّا في حفلة زانتها فضليات السيدات وجعلهُ بيتاً لهذه الكلم «كل الانسانية في نصف الانسان» ويعني بنصف الانسان المرأَة وبالانسانية الفضائل الطبيعية المقصورة عليها ثم عقَّب على خطابهِ بهذه القصيدة يرمي بها الى اثبات ان الحسن هو الوسيلة لمعرفة الانسان نفسهُ ولمعرفة الانسان ربهُ فكأَن المرأَة تعزية الانسانية وطريقها الى العلم

إليكِ غصوني يا طيور الحقائقِ   ليسمع في ذا «الفجر» صوت حدائقي
فما إن ارى كالحسن ابدع صامت   يجلُّ بهِ في الشعر ابدعُ ناطقِ
وافخم اصوات الطبيعة راعدٌ   يجلجلُ في الآفاق من حسن بارقِ

فيا خالق الدنيا منىً وحقائقاً   ليعرفهُ اهل المنى والحقائقِ
لقد يبصر المرءُ السما ونجومها   وما في العُلى من معجزات خوارقِ
ويبصر ما أبدعتَ في الارض كلها   مغاربها القُصوى معاً والمشارقِ
ويبصر ما اجملتَ من متناسب   عجيب وما فصَّلت من متناسقِ
يرى كل هذا ساكن القلب وامقاً   بالحاظهِ . واللحظ حُبُّ المنافقِ
بلى ويرى من كبرهِ كل رائع   ضئيلاً كأَن المرءَ في رأْس شاهقِ
ولكن متى يبصرْ بحسناءَ ينتفضْ   ويستشعر المخلوق هيبة خالقِ

يرى لحظها مسترسلاً في فؤَادهِ   يفكك ما بين المنى من علائقِ
وتغمرهُ من حسنها كل موجة   يميل عليها القلب مثل الزوارقِ
وتملأُهُ شوقاً يطيف بروحهِ   فيُشعرها الإجلالُ من كل شائقِ
وتتركهُ في الحسّ كالروح نفسها   وكالفكر في ذوق المعاني الدقائقِ

هناك يرى في كل مبتسمٍ ضيا   ينيرُ من الآمال في كل غاسقِ
هناك يرى فجراً لكوكبِ قلبهِ   وناهيك من نجم على الفجر خافقِ
هناك حواشي الفجر رفَافةُ الندى   تمجُّ رشاش الكوثر المتدافقِ
هناك باقصى الفجر اجملُ مشرقٍ   يرى منهُ نور الله أجمل شارقِ

لعمري لقد كانت لحواء فطنة   وكان ابونا آدمٌ غير حاذقِ
قضى قبل ان يمضي من الخلد ساعةً   وليس بهِ الاَّ اهتمام المُفارقِ
بئيسٌ على ما كان مكتئب لما   يكون بصدر واهن الصبر ضائقِ
فلم يغتنم من ساعة لم تَعُدْ لهُ   وكان بها من ساعة جِدٍّ واثقِ
ولكن حواء الجميلة اسرعت   خواطرها كالبارق المتلاحقِ
رأت انها جفَّت على قلب آدم   ولمَّا تزلْ في ظل فينان وارقِ
فكيف اذا ما غادرا الخلد بتَّةً   وعاد عليها آدم عود حانقِ
وهبَّت اعاصير الجدال وانشأت   سحائبهُ يرمينها بالصواعقِ
وكانت ترى في جنة الخلد جوهراً   يسمونهُ في الخلد «قلب المعانقِ»

ولما اتى وقت الخروج وعرّيا   سوى الحلة الخضراء دون المناطقِ
مشى آدمٌ يشكو لها متباطئاً   ولكنها زمَّتْ فماً غير ناطقِ
فأعجبهُ منها السكوت ولم تكن   لتسكت في شيء سكوت موافقِ
وظن بها من روعة الحزن حكمةً   تبصّرها في امر هذي العوائقِ
ولو فتحت فاها الملائكُ عندها   لكانت رأت فيهِ جريمة سارقِ

فقد اخذت حواء «جوهرة الهوى»   وفازت بحظ في المحبة فائقِ
فحين رآها آدم في ابتسامها   رأى الحب ابهى ما يكون لرامقِ
ومرَّ بعينيهِ الشعاع وسحرهُ   يريهِ الهوى احلام يقظان صادقِ
ففي القبلة الاولى درى حاضر المنى   وفي القبلة الاخرى نسي كل سابقِ

لذاك نرى حب «الجواهر» فطرة   لكل النسا معدودة في الخلائقِ
وما برحت آثار جوهرة الهوى   تلألأ في كل ابتسامٍ لعاشقِ

مصطفى صادق الرافعي

الخلود

من قصيدة رثى بها نعوم بك شقير المرحومة والدتهُ في ١٤ سبتمبر سنة ١٩١١

تبًّا لهذي الدار ان بَسمَت لنا   حينًا تقطّب وجهها أحيانا
كم غُصَّةٍ فيها وكم من لوعةٍ   لو لم يكن غير الردى لكفانا
والموت يبطش بالبرية صائلاً   لا يتَّقي في بطشهِ انسانا
والحرُّ يكتم ضيمهُ لكنهُ   لا يستطيع مع الردى كتمانا
خلتِ الديار من الاصول فانذر — الاغصان ان زمانها قد آنا
فعلامَ هذي المنكراتُ بارضنا   وعلامَ اجناد الورى تتفانى
يتسابقون الى الحُطام كأَنهم   افراس سبقٍ طالبين رهانا
شتَّان بين النازعين الى العلى   والنازعين الى الثرى شتَّانا
فلننتبذ دار الفنآء ونستبق   دار الخلود ونتقِ الرحمانا
فهناك نرتع في السعادة والهنا   وهناك نُكفى الهمَّ والاحزانا
وهناك يلقى كل خلٍ خلهُ   ويبيت جُمَّاع الورى اخوانا

⁂

ما عاد من دار المنية راحلٌ   فنفى الشكوك وثبَّت الايمانا
حكِّم رشادك في معادك واتَّعظ   واذا عجزتَ فحكِّم الوجدانا
واحرِص على رأْي الجدود فانهُ   رأي تقلَّب في الحجى ازمانا
لو لم يكن دين النفوس طبيعةً   ما كنت تلقى في الورى اديانا
والدين دين الله مصباح الهدى   فاذا اُطَّرحناهُ فاين هُدانا
والدين دين الله أَصل عزائنا   فاذا اُنتزعناهُ فاين عزانا

⁂

عجبًا لزيغ الملحدين فهل رأَوا   يومًا على إلحادهم برهانا
أَإذا ثوى الانسان منا تنطفي   منهُ الحياة كأَنهُ ما كانا

فعلامَ يبقى ذكرهُ بقلوبنا   حيًّا ولقياهُ أعزُّ مُنانا
وعلامَ تشعر بالخلود نفوسنا   وتودُّ في دار البقاء مكانا
واذا جحدنا العلَّة الأُولى لنا   أنّى نعلّل هذه الاكوانا
الله اكبر كيف نطفئُ نورهُ   ونسير في هذا الورى عميانا
الله اكبر ان سرَّ وجودهِ   ووجودنا قد حيّر الاذهانا
ولئن نبتْ افهامنا عن سرّهِ   فلقد بدتْ آياتهُ إعلانا
فهي المنار لمن اراد هدايةً   وهي اللسان لمن اراد بيانا
والنفس أُعطيت الخلود كرامةً   فعلامَ نُلبسها الفناء هوانا

السلطان سليم العثماني والشعر العربيّ

قرأت في مجلّة الآثار للفاضل المحقق عيسى افندي اسكندر المعلوف هذين البيتين وهما

الملك لله من يظفر بنيل منىً   يردُدْهُ قسرًا ويضمن بعدهُ الدَّرَكا
لو كان لي او لغيري قيد انملةٍ   فوق البسيطة كان الامرُ مشتَرَكا

منسوبين لساكن الجنان السلطان سليم العثماني الاول فاتح البلاد العربية فلحظت ان الكاتب تابع فيهما قول الذين ظنوا ان السلطان كتب هذين البيتين عند ما فتح مصر من مقولهِ لا من منقولهِ مع اني كنت رأَيتهما في ديوان المعرّي لزوم ما لا يلزم من جملة قصيدة من البحر والرويّ·

ويظهر ان الفاضل المحقق احمد بك تيمور لحظ ما لحظتهُ واشار الى ذلك في العدد الاخير من المقتطف مشفوعًا بكونهِ وان لم يكن السلطان بأَبي عذرة هذين البيتين فإِن اختيارهُ لهما في مثل هذا المقام لمن ادل الدلائل على عقلهِ وفضلهِ ورسوخهِ في الادب ووفرة حظهِ من لغة العرب · وانا اضيف الى هذا القول ان ظن بعضهم كون البيتين هما من قريحة السلطان مبنيٌّ على ما كان متحققًا بهِ رحمهُ الله من ملكة الادب العربيّ الى الغاية البعيدة وما كان سائرًا عنهُ من الشعر الجزل العالي الطبقة المستولي على آماد الاجادة بحيث لم يكن ليستكثر عليهِ النظم الذي يلتبس بنظم المعري·

وفي هذا الصيف زرت مدينة حماه فدلّني بعض السادة الكيلانية السّراة على الدار التي يقال ان السلطان سليماً نزل بها عند مرورهِ بحماه فاتحاً للديار الشامية وعلى الغرفة التي بات فيها وهي غرفة سنيّة ذات طنف مشرف على العاصي وانشدني بعضهم بيتين يقال انهُ نظمهما يومئذٍ وهما

بني جيلانَ هُنئتم بعيشٍ   ارى من دونهِ السبع الطباقا
اطاع لديكمُ العاصي ولمّا   تشرّف بالجوار حلا وراقا

وانت ترى على هذا الشعر من مسحة الكلام الملوكيّ وغضاضة الادب السلطاني ولاسيما في قولهِ « تشرّف بالجوار » ما يصحح نسبة هذين البيتين الى ذلك السلطان الاديب والفاتح العظيم فان للملوك ولاسيما بني عثمان من الآداب العالية الغالية في الحديث والكتابة ما لا تخفى ديباجتهُ

ومما قرأتهُ ولا اتذكر الآن بالتمام المظنة لبعد العهد بها ان السلطان المشار اليهِ كان مرةً يتنزّه في البوسفور فبينما هو يسير في قاربهِ اذ مرّ بالقرب منهُ رجل من علماء العراق راكباً الى اسكدار فحانت من السلطان التفاتة فرآهُ وعلم من زيهِ وعمامتهِ انهُ عراقيّ المنبت عربيّ اللغة فخاطبهُ بصوت عالٍ متمثلاً ببيت الطغرائيّ البغداديّ من لامية العجم وهو

فِيمَ اقتحامك لجّ البحر تركبهُ   وانت تكفيك منهُ مُصَّة الوَشَلِ

وكان العراقيّ حاضر النادرة فاجابهُ بديهاً ببيت آخر من القصيدة نفسها وهو

أُريدُ بسطة كفٍ استعين بها   على قضاء حقوقٍ للعُلى قِبَلي

فاستحسن السلطان بديهتهُ وفي اليوم التالي استدعاهُ واجازهُ وامر بقضاء حاجاتهِ كلها

واتذكر ايضاً انني وقفت على كتاب باللغة الفرنسية يقع في مجلد كبير حاوٍ تراجم المتأدبين والفضلاء من سلاطين آل عثمان آتٍ على ذكر بعض مناقبهم الادبية وآثارهم العلمية على نوع من الاستيفاء فمن تأمل بعين الانصاف في علو كعبهم في العلوم والآداب ومعرفة متعدد اللغات ومعاناتهم النظم والنثر الى حد الاستيلاء على الغاية مع استغراق اوقاتهم بالفتوحات وتدبير الملك علم ان هممهم العلية لم تكن لترضى بسمة الفتوح دون التحلي بحلية العلم وان عروش سلطانهم موشاة بطراز الادب الرفيع مما يعز على عترة ملكية غيرهم و يندر ان يتسق بتلك الدرجة لغير فروع هذه الشجرة المباركة ادام الله ظلها

صوفر   شكيب ارسلان

من حكم الاوربيين

دنتي (١٢٦٥ — ١٣٢١)

اشد الحزن اذا تذكَّر الانسان افراحهُ وقت اتراحهِ

مونتانيه (١٥٣٣ — ١٥٩٢)

الانسان غريب الاطوار متكبر ومتقلب

على ضعيف الذاكرة ان يقلع عن الكذب

على مَن يعلّم الناس ان يموتوا ان يعلمهم ايضاً ان يعيشوا

كم من انكسار خير من انتصار

اشد اعتقاد الانسان يكون في ما يقلُّ علمهُ بهِ

لا يخسر الحكيم شيئاً ما دامت نفسهُ لهُ

الداءُ العياءُ يستلزم دواءً معيياً . او لا يزيل المرَّ الاَّ الامرُّ منهُ

من افاد غيرهُ فقد نفعهُ اكثر مما ينفعهُ بحبهِ لهُ

لا بدَّ للفضيلة من مسلك وعر تسلك فيهِ

اذا لاعبتُ قطتي فمن يدري اني لا العب لها اكثر مما تلعب لي

نفوس الملوك والسوقة مفرغة في قالب واحد فالاسباب التي تؤَدي الى الخصام بين الرجل وجارهِ تؤَدي الى الحرب بين الملوك

ما احمق الانسان يعجز عن ان يخلق دودة ولكنهُ يختلق الهةً كثيرة

لماذا لا تقول الوزة ان العالم كلهُ خلق لاجلي الارض لامشي عليها والشمس تنير طريقي والهواءُ والماءُ لتنفسي وشربي ولا شيءَ تظللهُ السماءُ خيراً مني فانا غاية الخلق والانسان نفسهُ يحفظني ويخدمني

العلوم والفنون لا تُفرَغ في قالب افراغاً ولكنها تنمو نموًّا وتتقن بالمزاولة

كان الربَّان في قديم الزمان يقول لاله البحر ان هلاكي في يدك ونجاتي في يدك ولكن ذلك لا يحول دون احكامي دفة سفينتي

ارى ان افضل الفضائل لا يخلو من شائبة الرذائل

القول شيءٌ والفعل آخر

العالم ملعَب والناس فيهِ لاعبون ملوكهم وجماهيرهم منذ قديم الزمان الى الآن

الانسان كما يكون لا كما يظهر

لا يتماثل رأيان كما لا تتماثل شعرتان ولا حبتان . والتخالف اعمُّ الصفات

اقول الصدق حسبما اجسر لا حسبما اريد وتزيد جسارتي بتقدمي في السن

ما اقل الرجال الذين يحبهم خدَمهم

كالقفص الطيور التي خارجهُ لا تستطيع الدخول اليهِ والتي فيهِ لا تستطيع الخروج منهُ

الضرر القديم المعروف اسهل احتمالاً من الجديد الذي لم يجرَّب

الطعام يولّد القابلية

ما من انسان تُكشَف افكارهُ وافعالهُ الاَّ ويستحق الشنق عشر مرات

قال سترنيوس للجنود انكم خسرتم ضابطكم بجعلهِ قائداً لكم

العادة طبيعة ثانية

نتوخَّى ان نخدَع ونعرّض انفسنا للخداع

انما انا جامع طاقة من الازهار ولم آتِ الاَّ بالخيط الذي ربطتها بهِ

خير لنا ان نكون بلا قانون من ان يكون لنا قوانين كثيرة

شرح المتن اسهل من شرح الشرح . والكتب المؤلفة في الكتب اكثر من الكتب المؤلفة في مواضيعها فان شأننا الشرح والانتقاد

يمتاز الحق بانهُ غير مبتذَل

لندع الطبيعة تجري مجراها فانها ادرى منا بنفسها

لم اتوخَّ قط ان استريح ورجلي اعلى من رأسي سواءٌ كنت جالساً او مستلقياً

دي بارتاس (١٥٤٤ — ١٥٩٠)

الذي يجيد عملهُ لا يكون قد تأخَّر فيهِ

يزيد بياض الوز اذا دنت منهُ الغربان

ستار الليل يستر الجميع على السواء

ما من ولاية في الارض تفوق ولاية النحل انتظاماً

داعي السرور عند الشدة نِعْمَ النصير متقدماً جاء او متأخراً

جسم الانسان اوسع المواضيع للبحث

يقطع الجرَّاح العضو المأوف لكي يسلم سائر البدن

الخوف من الموت كامن لنا في كل وشيع وخندق وفي حفيف ورق الاشجار

تصاب الذاكرة بالشلل كما تصاب بخيبة الامل

مَن يُخلِف وعدهُ لا وعد لهُ

عيشة الهناء عيشة طويلة لان العمر لا يقاس في عصرنا بالسنين والايام والساعات

هو لحم من لحمك ولكنهُ ليس عظماً من عظمك

العالم ملعب والناس فيهِ لاعبون

ميجل ده سرڤنتس (١٥٤٧—١٦١٦)

الشجاع يتحكَّم بالدهر والمرء ابن عمله

الخير لا يزيد عمَّا يلزم

لقد صدق من قال انهُ على الانسان ان يأكل كيلة ملح مع صديقهِ قبلما يعرفهُ

اظهر من الانف في وجه الانسان

دعني اثب من القدْر الى النار او من رحمة الله الى الشمس المحرقة

الخوف حادُّ البصر يرى ما تحت الارض وما فوق السماء

البلايا لا تأتي فرادى

كلما قلَّبتها زادت سوءًا

الحكيم لا يضع كل ما عندهُ من البيض في سلَّة واحدة

اقل الكلام اسرعهُ اصلاحاً

الفم المطبق لا يدخلهُ الذباب

لقد تعلم ما افعل بالرطب اذا كان هذا فعلي باليابس

التسويف مجلبة الخطر

عصفور في اليد ولا اثنان في الشجرة

لا شبهة ان ما تنفق عليهِ كثيراً فهو غالي الثمن

اذا تألَّم الرأس تألَّمت الاعضاء كلها

الانسان كما يولد او اردأ

وفِرْ نفَسك لتبريد طعامك

القليل في جيبك خير لك من الكثير في جيب غيرك

القلم لسان العقل

اخبرْني مَن عشيرك فاخبرك من انت

الزمان يصلح كل شيءٍ
ما من احد يولد حكيماً
الاسم الطيب خير من الغنى
وعد الحر مثل سنده
يذهب كثيرون لجز الصوف و يعودون وصوفهم مجزوز
الاجتهاد ابو السعد
الحرية من افضل نعم الله على الانسان
لمْ تبنَ رومية في يوم واحد
الحمار يحمل حملاً لا حملين
لا تفتش عن طيور هذا العام في عشاش العام الماضي
قلبي لين كالشمع ولكنهُ شديد الاحتمال كالصخر
ما اكثر الذين يعدون فراخهم قبلما تولد
لا يضمن الانسان الاَّ ما يملكهُ
اجتهد لتعرف نفسك فان ذلك اصعب الدروس معرفةً
كلمة تكفي الحكيم (الحرُّ تكفيهِ الاشارة)
خير لهم ان لا يثيروا الارز ولو لصق بالقدر
السعد خير من القيام الباكر
الامانة خير سياسة
ما كل لامع ذهبًا
ابنِ القصور في الهواء تقفْ هزءًا للناس
لهُ مجذاف في كل قارب واصبع في كل خبيصة
الناس غني وفقير
التفت قبلما تثب
لكل داءٍ دواءٌ الاَّ الموت فانَّا مأخوذون بهِ لا محالة
الجبان لا يمتلك قلوب الحسان
مهما زاد الكتاب سماجة لا يخلو من كياسة

الطعام الصحي

البحث في الطعام وما يصلح منهُ للانسان في الصحة والمرض وما يلزم منهُ في ادوار الحياة المختلفة من اهم المباحث التي يشتغل بها العلماء الآن من باب صحي ومن باب اقتصادي . وقد رأينا ان نذكر خلاصة اقوال بعض القدماء في هذا الموضوع فلخصنا ما يلي من فصل للشيخ الرئيس ابن سينا اوردهُ في كتابهِ الكبير المعروف بالقانون قال ما خلاصتهُ

يجب ان يجتهد حافظ الصحة في ان لا يكون جوهر غذائهِ شيئًا من الاغذية الدوائية بل يجب ان يكون الغذاء من مثل اللحم والحنطة المنقاة من الشوائب المأخوذة من زرع صحيح لم تصبهُ آفة . واشبه الفواكه بالغذاء التين والعنب الصحيح النضج جدًّا والتمر في البلاد والاراضي المعتاد فيها

ويجب ان لا يؤكل الاَّ على سبيل شهوة (قابلية) ولا تدافع الشهوة اذا هاجت ولم تكن كاذبة ويؤكل في الشتاء الطعام الحار بالفعل وفي الصيف الطعام البارد او القليل السخونة ولا يبلغ الحر والبرد الى ما لا يطاق

واعلم انهُ لا شيءَ اردأ من شبع في الخصب يتبعهُ جوع في الجدب وبالعكس . والعكس اردأ . وقد رأينا خلقًا ضاق عليهم الطعام في القحط فلما اتَّسع الطعام امتلأُوا وماتوا . على ان الامتلاء الشديد في كل حال قتَّال سواءٌ كان من طعام او شراب

واضرُّ شيءٍ بالبدن إدخال طعام على طعام لم ينهضم . ولا شرَّ من التخمة وخصوصًا اذا كانت من اغذية رديئة فانها اذا عرضت من الاغذية الغليظة اورثت وجع المفاصل والكلى والربو والنقرس وجساوة الطحال والكبد والامراض البلغمية والسوداوية . واذا عرضت من اغذية لطيفة نتج عنها حميات حارَّة خبيثة واورام حارَّة ردية

وربما احتيج الى ادخال طعام ما او شيءٍ يشبه الطعام على طعام آخر ليكون دواءً لهُ مثل مَن يتناول اغذية حريفة ومالحة فاذا اتبعها قبل ان يتم هضمها بالمرطبات من الاغذية صلح بذلك كيموس ما اغتذى بهِ اولاً

والاعراض النفسانية الفادحة والحركات البدنية الفادحة يمنعان الهضم

ويجب ان لا يؤكل في الشتاء الاغذية القليلة الغذاء كالبقول بل يؤكل ما هو اغذى من الحبوب واشد اكتنازاً . وفي الصيف بالضد . ثم يجب ان لا يمتلأ من الطعام حتى لا يبقى مكان لفضلة بل يجب ان يمسك عنهُ وفي النفس بعض من بقية الشهوة . فان تلك البقية

تبطل بعد ساعة . ويجب ان يحفظ مجرى العادة في ذلك فان شرّ الاكل ما اثقل المعدة وشر الشراب ما جاوز الاعتدال . فان افرط المرء يوماً جاع في الثاني واطال النوم في مكان معتدل واذا لم يساعدهُ النوم مشى مشياً كثيراً ليناً متصلاً لا فترة فيهِ ولا استراحة . ويشرب شراباً قليلاً صرفاً . قال روفس انا احمد هذا المشي وخصوصاً بعد الغداء فانهُ يهيئ جودة موقع العشاء

ويجب ان يكون النوم على اليمين اولاً زماناً يسيراً ثم ينام على اليسار ثم ينام على اليمين . واعلم ان الدثار ورفع الوساد معين على الهضم وبالجملة ان يكون وضع الاعضاء مائلاً الى تحت ليس الى فوق

وتقدير الطعام بحسب العادة والقوة فيكون مقدارهُ في الصحيح القوة المقدار الذي اذا تناولهُ لم يثقل ولم يمدد الشراسيف ولم ينفخ ولم يقرقر ولم يعرض معهُ غثي ولا سقوط ولا بلادة ولا ارَق ولم يجد الآكل طعمهُ في الجشا بعد زمان وكلما وجد طعمهُ بعد مدة اطول فهو اردأ

وقد يدلُّ على ان الطعام معتدل ان لا يعرض منهُ عِظَم نبض مع صِغر نفس فانهُ انما يعرض ذلك بسبب مزاحمة المعدة للحجاب . ومن عرض لهُ على طعامهِ حرارة وسخونة فلا يأكلنَّ دفعةً بل قليلاً قليلاً لئلاَّ يعرض من الامتلاء حالة كالنافض (حمَّى ينتفض بها البدن) . ومن كان يعجز عن هضم الكفاية كثّرْ عدد اغتذائهِ وقلّلْ مقدارهُ

وللاغذية في استعمالها ترتيب يجب ان يراعيهُ الحافظ لصحتهِ فليحذر ان يتناول ما هو رقيق سريع الهضم على غذاءٍ قوي اصلب منهُ فينهضم قبلهُ وهو طاف عليهِ فيفسد ويفسد ما يخالطهُ . والسمك وما يجري مجراهُ لا يجب ان يتناول عقيب رياضة متعبة فيفسد ويفسد الاخلاط

ويجب ان يتأمل دائماً حال المعدة ومزاجها فمن الناس مَن يفسد في معدتهِ الغذاء اللطيف السريع الهضم وينهضم فيها القوي البطيء الهضم . ومنهم مَن هو بالضد وكلٌّ يدبَّر على مقتضى عادتهِ

وللبلدان خواص من الطبائع . والامزجةُ امور خارجة عن القياس فليحفظ ذلك ويغلّب التجربة فيهِ على القياس فربَّ غذاء مألوف فيهِ مضرَّة مَّا هو اوفق من الفاضل غير المألوف . ولكل مزاج غذاء موافق مشاكل . ومن الناس مَن يضرهُ بعض الاطعمة الجيدة المحمودة فليهجرها . ومَن استمرأ الاغذية الرديئة فلا يغتر بذلك فانهُ يتولد منها على الايام اخلاط رديئة قتّالة

وشر الاشياء جمع اغذية مختلفة معاً وبعدهُ تطويل مدة الاكل فيلحق الغذاء الآخرُ وقد اخذ الاولُ في الانهضام فلا تتشابه اجزاء الغذاء في الانهضام . ومن مضار الطعام اللذيذ جداً انهُ يمكن الاستكثار منهُ . وان اوفق المرات للاكل المشبع ان يأكل يوماً وجبةً (الوجبة الاكل مرة واحدة في اليوم) ويوماً مرتين بكرةً وعشية ويجب ان تراعى العادة في ذلك مراعاة شديدة فان من اعتاد مرتين فوجبَ (اي اكل وجبة او مرة واحدة) ضعف ووهنت قوتهُ بل يجب ان كان بهِ ضعف هضم ان يتناول مرتين ويقلل كل مرة . ومَن اعتاد الوجبة فثنَّى عرَض لهُ ضعف وكسل واسترخاء

ويجب ان لا يأكل السمين من الناس حالما يخرج من الحمام بل يصبر وينام نومة خفيفة والاصلح لهُ الوجبة . ولا ينبغي ان ينام على طعام طافٍ . وليحترز كل التحرُّز من الحركة العنيفة على الطعام ولا يشرب عليهِ ماء كثيراً يفرق بينهُ وبين المعدة فان عطش فليمص شيئاً يسيراً من الماء البارد مصاً وكلما كان ابرد اقنع اليسير منهُ اكثر

والفواكه الرطبة انما توافق المتعبين المرتاضين وتؤكل قبل الطعام وهي مثل المشمش والتوت والبطيخ والاجاص

والاستكثار من الاغذية اليابسة يسقط الشهوة ويفسد اللون ومن الدسم يكسل ويذهب الشهوة ومن البارد يكسل ويفتر ومن الحامض والحريف يجلب الهرم ومن المالح يضرُّ بالمعدة والعين

وقد قال بعض اصحاب التجارب من اهل الهند وغيرهم انهُ لا ينبغي ان يؤكل اللبن مع الحموضات ولا السمك مع اللبن فانهما يورثان امراضاً مزمنة منها الجذام . ولا يستعمل من المطعومات دهن او دسم كان في اناء نحاس . والاطعمة المختلفة تضرُّ من وجهين احدهما اختلافها في الهضم واختلاف المنهضم منها وغير المنهضم والثاني انها يمكن ان يتناول منها اكثر مما يلزم . وقد هرب اصحاب الرياضة في الزمان القديم من ذلك اذ كانوا يقتصرون على اللحم في الغذاء وعلى الخبز في العشاء . وافضل اوقات الاكل في الصيف الوقت الذي هو ابرد . ومدافعة الجوع ربما ملأَت المعدة صديدات ردية . واعلم ان الكباب اذا انهضم كان اغذى غذاء

هذه خلاصة ما ذكرهُ ابن سينا في هذا الباب منذ نحو تسع مئة سنة . وقد نظر فيهِ الى الاطعمة من حيث هي والى فعلها الصحي والمرضي ولم يراعِ فيها امراً جوهرياً وهو امر النفقة كأنهُ كان يكتب لفريق واحد من الناس اهل اليسار الذين يستطيعون ان يأكلوا كل

طعام يريدون اكلهُ غاليًا كان او رخيصًا . ولا نظر ايضًا الى تدبير الطعام من حيث طبخهُ وحفظهُ . اما الناظر في امر الطعام في هذا العصر فلا بدَّ لهُ من مراعاة النفقة والتدبير لكي تنتج من الطعام الفائدة الكبرى للامة كلها باقل ما يكون من النفقة

ولا يخفى ان امر تدبير الطعام منوط بربة البيت في اكثر من تسعين في المئة من البيوت وقد كانت ربة البيت تعمل اعمالاً اخرى كثيرة لم تعد تكلَّف بها مثل الغزل والنسج والخياطة وما اشبه اما تحضير الطعام فلم يزل من اعمالها الخاصة ولو انها أُعفيت من بعضهِ مثل اعفائها من العجن والخبز في اكثر المدن

ووظيفة الزوجة بعد ولادة الاولاد تدبير الطعام لهم — الطعام الكافي لغذائهم ونموهم وتحملهم مشاق الحياة . ثم تأتي وظيفة اسمى منها وهي تربيتهم التربية الصحية جسداً وعقلاً ونفساً وهذا موضوع آخر لا نطرقهُ الآن الاَّ من حيث كون الصحة الجسدية هي اساس الصحة العقلية والادبية

الاَّ ان المرأة لا تستعد للقيام بهذه الوظيفة الاستعداد العلمي الواجب بل تتابع العادة والمألوف وتجري في اختيار الطعام واعدادهِ على ما تعلمتهُ من امها او على ما تجري عليهِ جاراتها ويجيزهُ دخل زوجها . واذا كانت في سعة وعندها طباخ او طباخة فتكتفي بما يطبخ لها والحكم في ذلك كلهِ للذوق والعادة . والناس يجرون في علف ثيرانهم وخيولهم وحميرهم على قواعد اقرب الى العلم مما يجرون عليهِ في طعامهم وشرابهم حتى قيل انهُ لما خربت مدينة سان فرنسسكو بالزلزلة منذ بضع سنوات واضطرَّ سكانها ان يأكلوا الطعام البسيط في الخيام ولم يبقَ لهم وصول الى المطبوخ من الطعام جادت صحتهم بنوع عام

والذين تمكنهم السعة من تغذية اطفالهم والاعتناء بصحتهم لا يموت من اطفالهم قدر ما يموت من اطفال الفقراء الذين يتعذر عليهم ان يغذوا اطفالهم ويعتنوا بهم الاعتناء الواجب . فقد وجد بالاحصاء انهُ يموت عشرة في المئة من اطفال الاغنياء في السنة الاولى من عمرهم و ٢١ في المئة من اطفال الاواسط و ٣٢ في المئة من اطفال الفقراء

ويظهر بالاستقراء ان النساء الفقيرات اللواتي كنَّ في خدمة بيوت غنية وتعلمنَ فيها كيفية تدبير الطعام وتدبير المنزل تكون بيوتهنَّ اصلح حالاً من بيوت اخواتهنَّ اللواتي لم يخدمنَ مثلهنَّ ولو كنَّ كلهنَّ في درجة واحدة ماليًّا . وكيفما التفتنا الى هذا الموضوع وجدنا ان تعليم المرأة قواعد تدبير المنزل من حيث طبخ الطعام المناسب ومن حيث بقية وسائل الصحة من الزم اللوازم كيف لا ودرجة الامة بين الامم من حيث ارتقاؤها العقلي والادبي والاجتماعي

متوقف على صحة افرادها والصحة متوقفة على الطعام فاذا اريد اصلاح حال الامة جسديًا وعقليًا وادبيًّا فلا بدَّ من الاهتمام بامر الطعام ويجب ان يقدَّم هذا الاهتمام على كل شيءٍ في مدارس البنات

ولكن الكتب الموضوعة في هذا الفن لا تصلح لكل بلاد على حدٍّ سوى ولا لكل طبقات الناس اذ لا بدَّ من مراعاة اقاليمهم وعاداتهم ومواد الغذاء التي في بلادهم ومقدار ما يستطيعون انفاقهُ في بيوتهم وليس في ذلك كبير عناء لان ابسط الطعام اصلحهُ للصحة . فاذا بحثت لجنة من علماء الكيمياء والفسيولوجيا والهيجين في مواد الطعام التي في هذا القطر مثلاً وطرق اعدادها فلا يتعذر عليهم ان يضعوا كتاباً موجزاً سهل المأخذ يذكرون فيهِ كل ما تحتاج المرأة الى معرفتهِ من هذا القبيل

التنازع والتعاون

شهد هذا الخريف حرباً تُمنَع وحرباً تشبّ . الدولتان اللتان منعتا نشوب الحرب اي فرنسا والمانيا مدحهما كل العقلاء في كل مكان وقالوا انهما اجتنبتا ضرراً اكيداً وخسارة فاحشة ونالت كلٌّ منهما فوق ما كانت تنالهُ لو حاربت جارتها وعُقد النصر لها . والحرب التي شبَّت اضرمت نارها دولة ايطاليا لغير موجب . والظواهر كلها تدلُّ على انها اغترَّت بقوتها واخطأَت في استضعافها خصمها وانها ستندم على ما فعلت ولو عُقد النصر لها اخيراً . بل لو كان لهذه الحرب موجب وكانت ايطاليا على تمام الاهبة لها لما غنمت منها ما يوازي خسارتها فيها . فان نظام المعاملات في هذا العصر نفى كل ربح للمعتدي غير الربح المالي

كان الناس يدَّعون ان للحرب العدائية ربحًا ادبيًّا يربحهُ المعتدي من مثل الجاه والسطوة ولكن اذا امعن المرء نظرهُ في ذلك رأى ان الغاية البعيدة وراء الجاه والسطوة انما هي الربح المالي حتى ان حروب القدماء وغزواتهم كان الغرض منها السلب واخذ الاسرى وبيعهم او استخدامهم . فالكسب كان المحور الوحيد الذي تدور عليهِ الحروب العدائية ولم يزل هو محورها واذا امكن الوصول الى هذا الكسب عينهِ بغير الحرب فمن الحماقة اثارة الحروب لاجلهِ وهذا يناقض ما قالهُ المتنبي

من اطاق التماس شيءٍ غلابًا   واغتصابًا لم يلتمسهُ سؤَالا

ولكنهُ صار من الامور المرعيَّة لدى اكثر الدول العظيمة فصارت تفصل ما بينها من

الخصومات بالتحكيم او بالمخابرات السياسية وقصرت حروبها على المناظرة التجارية والفائز في هذه المناظرة يربح اكثر من الفائز في الحرب

وقولنا الحروب العدائية ينفي الحروب الدفاعية كحرب العثمانيين الحاضرة فان هذه يوجبها شرف الدولة كما يوجبها الدفاع عن مصالحها فهي اضطرارية لا يد لها في اثارتها ولا سبيل لها الى اخماد نارها ما دام خصمها يناصبها العداء

اما الحروب العدائية او الهجومية فما دام الغرض الاخير منها الكسب المالي فعلامَ لا يقصد هذا الكسب بطريقهِ طريق الصناعة والتجارة بَدَل الغزو والنهب اللذين تذهب فيهما مهج الرجال و بدرات الاموال

اذا استتبَّ لايطاليا الاستيلاءُ على طرابلس الغرب فلا يحتمل ان يهاجر اليها اكثر من خمسين الفاً من الايطاليين. فلو هاجروا اليها قبل الحرب او الى غيرها من بلدان الدولة العثمانية وطلبوا الرزق من ابوابهِ أكانوا يجدون ما يحول بينهُ و بينهم . ولا يحتمل ايضاً ان تزيد تجارة ايطاليا مع طرابلس الغرب بعد استيلائها عليها حتى تبلغ مليون جنيه او مليوني جنيه في السنة ولكن اذا اجتهد الايطاليون اجتهاد الالمان لن يتعذَّر عليهم ان يزيدوا تجارتهم مع كل ولايات الدولة العثمانية اكثر من ذلك كثيراً

يقول انصار الحرب ان تنازع البقاء ناموس عام ولا بدَّ منهُ لبقاء الاصلح وارتقاء النوع وهذا التنازع قائم بالحرب والحرب اساسهُ ووسيلتهُ وان امم الارض كاسماك البحر واشجار البر تتنازع البقاء و يبقى اصلحها في هذا الجهاد. والتنازع ناموس طبيعي لا يمكن نقضهُ ولكن اذا امعن الباحث نظرهُ فيهِ وجد انهُ ليس لازماً بين الانسان واخيهِ بل بين الانسان والطبيعة ووجد ايضاً ان في الطبيعة ناموساً آخر لازماً لارتقاء النوع مثل ناموس التنازع وهو ناموس التعاون وهذا الناموس ارقى من ناموس التنازع لانهُ من لوازم الاحياء العليا وقد كان لهُ اليد الطولى في ارتقائها ولاسيما في ارتقاء الانسان. وكل تنازع يمنع هذا التعاون لا تكون نتيجتهُ الاَّ الانحطاط . واذا امعنا نظرنا في انواع الحيوان وجدنا ان الانواع التي يكثر بينها التعاون يقل التنازع بين افرادها. وهذا الامر على اظهرهِ في طوائف الناس ولا سيما في هذا العصر عصر المال والتجارة . وقد ضرب بعضهم لذلك هذا المثل قال لنفرض ان الالمان شنُّوا الغارة على بلاد الانكليز ودخلوا مدينة لندن ونهبوا ما في خزائن بنك انكلترا من النقود فانهُ حالما يحدث ذلك يوقف بنك المانيا الدفع و يخسر التجار الالمانيون مئة جنيه مقابل كل جنيه يسلبونهُ من بنك انكلترا . فالقائد الذي يشن هذه الغارة ليغنم كل جندي

من جنوده جنيهات قليلة يخرب بيوت المئات والالوف من تجار المانيا

ولو جرت الدولة العثمانية على مبدإ الحرب المالية مع الدولة الايطالية فاخرجت الايطاليين من بلادها وضربت على البضائع الايطالية ضرائب فادحة حتى يمتنع دخولها البلاد العثمانية لاصاب ايطاليا من الضرر مضاعف ما تنالهُ من النفع بامتلاك طرابلس الغرب . وقد ادركت النمسا ذلك حينما وقع الخلاف بينها وبين الدولة العثمانية على البوسنه والهرسك فبادرت الى ترضي الدولة العثمانية بالمال لئلا تربو خسارتها التجارية على نفعها من امتلاك تلك البلاد . والآن هل صار النمسويون اغنى منهم قبل امتلاكها . قد يحتمل انهم كسبوا بامتلاكها اصلاح حدود بلادهم ووقايتها اي كان لضمها اليهم نفع سياسي او حربي اما نفعهم المالي منها فلا وجه لهُ الاَّ اذا فرضنا انهم يقصدون طرد سكانها وامتلاك املاكهم او استعبادهم واخذ جنى اتعابهم اما اذا فرضنا ان الحكومة النمسوية تعاملهم مثل سائر رعاياها فلا يحتمل ان تزيد ثروة احد من النمسويين بضم البوسنة والهرسك الى بلادهم

وهذا شأن الايطاليين فانهم اذا تمكنوا من ضم طرابلس الغرب الى بلادهم فلا يكون ذلك الاَّ بعدما ينفقون على ضمها نفقات طائلة وقلما يحتمل ان يستعبدوا اهلها ويغتصبوا جنى اتعابهم كما كان الرومانيون يفعلون بالبلاد التي يمتلكونها فلا يستردون شيئًا يقابل ما انفقوهُ ناهيك بمن يقتل منهم ومَن يقتلونهُ من سكان البلاد

وغنيٌّ عن البيان ان ثروة الناس لا تزيد باتساع ممالكهم فالصيني ليس اغنى من الفرنسوي مع ان سكان الصين عشرة اضعاف سكان فرنسا . والالماني ليس اغنى من البلجكي مع ان سكان المانيا عشرة اضعاف سكان بلجكا . وقس على ذلك سائر ممالك الارض اي ان غنى الممالك وفقرها وغنى سكانها وفقرهم لا علاقة لها بعدد السكان . نعم ان الممالك التي تضيق ارضها بسكانها حتى يقل الرزق عليهم فيها تضطر ان تمتلك بلادًا اخرى كثيرة الخيرات قليلة السكان حتى تسهّل على الفاضل من اهاليها المهاجرة الى تلك البلاد والارتزاق فيها كما فعلت انكلترا وهولندا وجرت فرنسا والمانيا مجراها . ولكن ايطاليا لم تعمر كل بلادها حتى الآن فليس بها حاجة الى فتح بلدان اخرى وتعميرها للارتزاق منها فان عندها جزيرة سردينيا مساحتها اكثر من ٩٣٠٠ ميل مربع وليس فيها من السكان سوى ٨١٠٠٠٠ نفس مع ان صقلية تماثلها مساحة وسكانها اكثر من ثلاثة ملايين ونصف . وعندها مستعمرة ارتريا في افريقية على حدود السودان ومساحتها ٤٥٨٠٠ ميل مربع اي نحو نصف مساحة ايطاليا كلها وهي من اغنى بلاد الدنيا بالمناجم والحراج وليس فيها من السكان نصف مليون

نفس وعندها بلاد الصومال ومساحتها نحو ١٤٠٠٠٠ ميل مربع اي اكثر من مساحة ايطاليا كلها بنحو ثلاثين في المئة وسكانها نحو ٤٠٠٠٠٠ نفس فقط وهي بلاد زراعية كثيرة الخيرات فعلى مَ لا يهاجر الايطاليون الى هاتين البلادين ويعمرونهما ان كانت بلادهم قد ضاقت عليهم . ان الاموال التي انفقوها وسينفقونها في حروب طرابلس لو انفقت في سردينيا او في ارتريا او في بلاد الصومال بل لو انفقت في ايطاليا نفسها لاستفاد الايطاليون منها اضعاف ما يستفيدونهُ من طرابلس

حاربت المانيا فرنسا لاسباب معلومة وضمت اليها الالزاس واللورين فهل استفادت منهما اقل فائدة مالية . هل زادت ثروة الالمانيين باضافة الالزاس واللورين الى بلادهم . هل قلت الضرائب التي يؤدونها لحكومتهم . هل يؤدي ساكن الالزاس واللورين للحكومة الالمانية من الضرائب اكثر مما يؤديهِ الالماني الساكن فيهما او في غيرهما من البلاد الالمانية . ومن المحتمل ان المانيا استفادت فائدة حربيَّة باصلاح حدودها او بجعل هجوم فرنسا عليها متعذراً ولكن هذه الفائدة لا توازي ما اضطرت اليهِ من زيادة النفقات الحربية بعد ذلك . وقد ارتقت المانيا ارتقاء عظيماً باهراً منذ اربعين سنة الى الآن ولكن اساس ارتقائها ليس امتلاكها الالزاس واللورين بل هو تفوُّقها في العلوم والصنائع مع استتباب السلم في اوربا الذي ادَّى الى التعاون المالي بين كل الممالك الاوربية . ولولا هذا التعاون ما استطاعت ان تخطو هذه الخطى الواسعة . يؤيد ذلك انهُ لما توتَّرت العلاقات بينها وبين فرنسا هذا الصيف في بدء المسألة المراكشية وسحب اغنياء فرنسا جانباً من اموالهم من المانيا كادت بنوك المانيا تفلس وتجارتها تبور فبادرت الى التساهل واعادت فرنسا الاموال اليها فانفرجت ازمتها المالية قبل استحكامها

ثم انهُ لو استتبَّ لايطاليا امتلاك طرابلس الغرب واهتمت باصلاحها واستثمار خيراتها فهي اما ان تستأثر بذلك لتنحصر الفائدة فيها وفي سكان طرابلس فتكون قد جرت مجرى اسبانيا والبرتغال في استعمارها فتفشل فشلها لانهما فشلتا فشلاً تامًّا في كل البلدان التي امتلكتاها وحاولتا استعمارها ومنعتا غيرها من مشاركتها في النفع . واما ان تجري مجرى انكلترا وهو فتح ابواب مستعمراتها لتجارات كل الامم وحينئذٍ لا يكون السبق للايطاليين ولا يكون النفع الاكبر لهم بل للانكليز والالمان لان السبق في المناظرة التجارية للاغنى مالاً والاوفر علماً والامهر صناعةً . هذا اذا قصدت ايطاليا من امتلاك طرابلس الغرب اصلاحها ونفع اهلها اما اذا قصدت من امتلاكها ان تنتفع هي فقط كما كانت تفعل في عهد الرومان

فيعود عملها بالضرر عليها وعلى طرابلس معاً اما الضرر الذي يصيب اهالي طرابلس فامرهُ ظاهر لان البلاد التي لاهمَّ لحكامها الاَّ حلب الرعية وجز صوفها واكل لحمها مصيرها الى الخراب والاضمحلال . واما الضرر الذي يصيب ايطاليا نفسها فسببهُ ان الامم التي تحاول ان تعيش على تعب غيرها تصير كالحيوانات الحلمية فتضعف ويحل بها الخراب والدمار كما حلَّ برومية في سالف عهدها

وكيفما قلَّبنا المسأَلة من وجه مالي اقتصادي لا نرى لايطاليا فائدة من التهجم على املاك غيرها فوق ما في هذا التهجم من خرق القوانين الدولية . ولو انفقت ايطاليا في بلاد الدولة العثمانية على الاعمال النافعة ربع الاموال التي انفقتها على هذه الحرب لاستفادت من ذلك فوائد مالية وسياسية تفوق كل ما يمكن ان تستفيدهُ من طرابلس لو استتبَّ لها امتلاكها وحقَّقت الكلمات التي جعلناها عنواناً لهذه السطور وهي ان التعاون انفع من التنازع

باب الزراعة

الموسم الماضي والموسم الحاضر

القطن

فاق موسم القطن الماضي كل موسم قبلهِ في مقدارهِ وفي ثمنهِ فزاد على سبعة ملايين ونصف من القناطير كما ترى في هذا الجدول وهو منقول عن احصاء شركة المحاصيل

الواصل الى الاسكندرية	٧٥٨١٨٧٠ قنطاراً
يطرح منهُ لتصحيح الحساب في آخر السنة	١٨١٥٦
يبقى	٧٥٦٣٧١٤
الواصل الى بورت سعيد والاسمعيلية والسويس	٣٣
الواصل الى الاسكندرية من بورت سودان	٩٧٩٠
الجملة	٧٥٧٣٥٣٧

الصادر من الاسكندرية الى	المانيا	٢٠٩٢٦ بالة
	انكلترا	٤٣٥٠٥٠
	النمسا	١٠٠٣٤٩
	بلجيكا	١٨٧٦
	اسبانيا	٢٢٤٧٨
	الولايات المتحدة	١٢٥٥٧٥
	فرنسا	٩١١٧٢
	هولندا	١٦٨٢٦
	الهند	١١٩٢
	اليابان	١٧٤٢٣
	ايطاليا	٦٦٩٥٣
	البرتغال	٩١٥
	روسيا	٧٩٢١٨
	اسوج	٥٢٥
	اليونان وتركيا	٣٠٤٨
	اماكن مختلفة	٨٥٥
	الجملة	٩٨٤٣٨٨ بالة او ٧٤٧٧٤٥٠ قنطاراً

الصادر من بورت سعيد والاسمعيلية والسويس	٣٣
والجملة	٧٤٧٧٤٨٣ قنطاراً
وكان المخزون في الاسكندرية في ١ سبتمبر ١٩١٠	٢٨٢٣٠٠ قنطاراً
والواصل اليها كما هو مبين فوق	٧٥٧٣٥٣٧
والجملة	٧٨٥٥٨٣٧
والصادر كما هو مبين فوق	٧٤٧٧٤٨٣ قنطاراً
المغزول في الاسكندرية	١٦٨٣٠
الذي احترق في ثلاث حرائق	٤٦٠٠٠
	٧٥٤٠٣١٣
الباقي في الاسكندرية في ٣١ اغسطس ١٩١١	٣١٥٥٢٤ قنطاراً

البزرة

الواصل الى الاسكندرية		٤٦٠٣٧٢٦	اردبًا
يضاف اليهِ لتصحيح الحساب في آخر السنة		٣٢٠٩٤	
		٤٦٣٥٨٢٠	اردبًا
الصادر الى انكلترا		٢٤٧٤٠٤٨	=
الصادر الى فرنسا		١٥٨٢٠٠٠	=
الجملة		٤٠٥٦٠٤٨	
المخزون في الاسكندرية في ١ سبتمبر ١٩١٠		١٧٦٥٠	=
الواصل اليها كما هو مبين فوق		٤٦٣٥٨٢٠	=
والجملة		٤٦٥٣٤٧٠	=
الصادر كما هو مبين فوق	٤٠٥٦٠٤٨ اردبًا		
المصروف في القطر المصري	٥٥٦٦٣٣		
والجملة		٤٦١٣١٨١	=
الباقي بالاسكندرية في ٣١ اغسطس ١٩١١		٤٠٢٨٩	=

وقد عُصر سوى ما تقدم نحو ٣٠٠٠٠٠ اردب في كفر الزيات والزقازيق

والخلاصة ان القطر المصري اصدر من الموسم الماضي نحو سبعة ملايين ونصف مليون قنطار من القطن ثمنها اكثر من ٣٢ مليونًا من الجنيهات واصدر نحو اربعة ملايين اردب من بزر القطن ثمنها اكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات فباع الموسم الماضي باكثر من ٣٥ مليونًا

اما الموسم الحاضر فقد اصيب بآفتين كبيرين الاولى تأخر زرعهِ بسبب تأخر المياه ويقال ان سبب هذا التأخر خطأٌ من مصلحة الري في تأخيرها املاء خزان اصوان والثانية دودة القطن ودودة اللوز اللتين انتشرتا في مزارع القطن. ونتج عن هاتين الآفتين ان هذا الموسم سيقل عن الموسم الماضي اكثر من مليون قنطار

وجاءت ثالثة الاثافي بكبر موسم اميركا ويقال انهُ فاق كل ما بلغهُ في السنين الماضية حتى قدَّرهُ بعضهم بخمسة عشر مليون بالة وبالغ غيرهم في تقديرهِ فاوصلهُ الى ١٦ مليون بالة وكانت النتيجة اللازمة عن ذلك ان هبط سعر القطن المصري نحو جنيه في القنطار عما كان في العام الماضي حشف وسوءُ كيلة. ولذلك لا ينتظر ان يزيد موسم هذا العام على

٢٥ مليونًا من الجنيهات اذا استمرت الاسعار على ما هي عليهِ الآن اي ان ثمن الموسم الحاضر سينقص عن ثمن الموسم الماضي نحو عشرة ملايين الجنيهات يخسرها القطر المصري بسبب تأخر الزرع وفتك الدودة واقبال موسم اميركا

الدورة الزراعية

الدورة الزراعية من الارض كالدورة الدموية من الجسم ان حصل خلل في وظائف هذه اعتل الجسم وضعف وكذلك ان لم ترتب الدورة الزراعية حسب طبيعة الارض والاقليم والهواء كانت النتيجة ضعف الارض ونقص المحصول · والدورة كانت معروفة منذ البدء بالزراعة فكان الزارع يقسم ارضهُ حسب عدد مزروعاتهِ واهميتها عندهُ لانهُ كان يلاحظ ان بعض النباتات تنمو جيداً بعد نباتات معلومة فضلاً عن حفظ الارض خصبها لان هذه الدورة من الاسباب التي لو اتبعت حسب الاصول لساعدت على ذلك كالخدمة والاسمدة · فهذا كان شأن الفلاح في الزمن السالف الزمن الذي كان لا يعرف فيهِ من احوال الزراعة ما نعرفهُ الآن ولكننا مع الاسف نرى ان اغلب الناس في جهات القطر من يوم ان ادخل القطن ورأوا ارتفاع ثمنهِ انكبوا على زرعهِ ولم ينظروا الى الوسائل والاسباب التي تحفظ قوة انتاج الارض لذلك المحصول الى ان وصلنا بهذا الانقلاب الى حالة تستدعي العمل بجد لما فيهِ اعادة ما فقدناهُ وذلك

اولاً · اتباع دورة مناسبة مع مراعاة الاسمدة الصالحة

ثانيًا · الاعتناء بالخدمة والصرف لاسيما في الاراضي الرطبة · وسأشرح هذه الامور شرحًا يمكن الفلاح من معرفة اهميتها للعمل بمقتضاها

الدورة هي الركن المهم من اركان صلاح الارض والزرع معًا اذ من المعروف انهُ اذا توالت زراعة اي نوع من انواع المحاصيل في قطعة واحدة مدة من الزمن كانت النتيجة تلف الارض لانهُ وان كانت جميع النباتات تأخذ من الارض نفس العناصر الكيماوية ولكن ذلك بمقادير مختلفة جدًّا لاننا اذا حللنا مثلاً كلاًّ من القطن والقصب والقمح والفول وجدنا ان القصب يحتوي على كمية كبيرة من الكلسيوم والبوتاسيوم والحامض الفصفوريك والازوت ويليهِ الفول ثم القطن ثم القمح · والاختلاف بين مقدار الازوت في الفول والقمح كبير جدًّا لان الاول من الفصلية القرنية وهي التي اكتشف هيل ريجل سنة ١٨٩٨ ان لها قوة تثبيت ازوت الهواء بواسطة اجسام حية دقيقة جدًّا تعيش على جذور النباتات ولذلك نرى وجوب زراعة نباتات هذه الفصلية قبل نباتات الفصلية النجيلية مثل القمح والشعير

وقبل الفصلية الخبازية كالقطن

ويتضح مما ذكر ان للنباتات المختلفة الفصائل قوى مختلفة في استغلال الارض لان بعضها يأخذ من الأزوت اكثر من غيرهِ وبعضها من الحامض الفصفوريك وهكذا تختلف ايضاً نسبة استغلال الارض بنسبة طول الجذور فالقطن والقصب مثلاً لها جذور طويلة بالنسبة الى جذور الذرة والقمح فالاولى منها تتغذى من مواد الطبقة السفلى والثانية من الطبقة السطحية وبهذه الخاصية يمكن للنباتات المختلفة الجذور استعمال طبقات الارض بنسب متساوية فبعض المواد الغذائية بعد ذوبانهِ يميل لان يغوص الى الطبقات السفلى فلا ينتفع بهِ الاَّ ما كانت جذورهُ طويلة — ومن ذلك يعلم ان لحفظ خصب الارض يجب ان تتلو ذات الجذور الطويلة اخرى قصيرة الجذور او بالعكس مثل القطن بعد الذرة (المسمدة جيداً). ومن المشاهد ان للحشرات ميلاً الى الفتك ببعض النباتات دون الاخرى فاذا توالت زراعة تلك النباتات كان خطر هذه الحشرات عظيماً. وما يقال عن الحشرات يقال عن الحشائش حيث اننا نجد ان بعضها لا يوجد الاَّ على بعض النباتات مثل الهالوك في الفول او الحامول في البرسيم. ولوقت الزرع والمدة التي يمكثها في الارض علاقة مهمة بالدورة. ولنتكلم الآن عن الدورة التي يجب على كل مزارع العمل بمقتضاها

الدورة المتبعة في الوجه البحري اما ثنائية او ثلاثية فالثنائية منها وهي زرع نصف الارض قطناً عمت مع الاسف الوجه كلهُ تقريباً — الاَّ ما كان منهُ تابعاً للدوائر الكبيرة — حتى ادَّى ذلك الى ضعف الارض ولاسيما ان كثيرين من الفلاحين لا يهتمون بالخدمة من جهة ولا يوجد وقت متسع يكفي لتأدية الخدمة الحقيقية من جهة اخرى وعدم وجود الاسمدة الكافي لذلك فنشأ كما نرى قلة في المحصول واضمحلال في التيلة (التي يتوقف عليها امتياز القطن المصري على غيرهِ) ولهذه المضار ولاخرى لا تقل عنها شأناً يتضح لنا الخطر المحدق بنا من العمل بهذه الدورة وهي كالآتي

السنة الاولى

	القسم الاول	القسم الثاني	
		الجزء الاول	الجزء الثاني
شتوي	برسيم تحريش او بور	برسيم مستديم او فول	قمح او شعير
صيفي	قطن	″ ″ ″	″ ″
نيلي	قطن	بور او ذره	بور او ذره

السنة الثانية

القسم الثاني	القسم الاول

هذه هي الدورة المتبعة في اغلب الجهات اما المتبعة في شمال الدقهلية والغربية والبحيرة (مناطق الارز) فهي كالآتي

السنة الاولى

	القسم الاول	القسم الثاني
شتوي	برسيم تحريش	شعير او برسيم
صيفي	قطن	ارز
نيلي	قطن	ارز

السنة الثانية

القسم الثاني	القسم الاول

مختار الجمال بمدرسة الزراعة

انواع التربة واوصافها

(تابع ما قبلهُ)

الارض الصفراء واصنافها

هذا النوع من الارض احسنها صفات واسهلها خدمة واجودها لانواع المزروعات ما عدا القطن فانهُ يجود في الارض الكحلة منها وما عدا الفول السوداني ونحوهِ فان جودتهُ في الارض الرملية اظهر

وتمتاز الارض الصفراء بسلاستها وسهولتها وسرعة تشربها للماء وان مدرها يمتزج بهِ وعقب تصفية الماء عنها يرى لون قشرتها اصفر مغبرًا غبرة لامعة فاذا جفّت التحفت غبرتها ببياض جيري وكان تشققها متوسطًا واذا حرثت ظهر لونها اصفر تعلوهُ غبرة خفيفة لامعة

ومن اصنافها الارض الصفراء الخفيفة فانهُ لزيادة الرمل فيها على الارض الصفراء الثقيلة تكون اكثر سلاسة وسهولة وافضل منها لزراعة اشجار الفاكهة والخضراوات والفول السوداني والنباتات البصلية والدرنية ونحوها

ومن اصنافها ارض « السواحل » « والجزائر النيلية »

ويُعبّر عن بعضها في العرف بالارض « الطمية »

الارض الرملية

اما الارض الرملية الزراعية وتسمى لغةً بالارض « النهداء » — وهي الرملة المنبتة — فانها خشنة الملمس رخوة القوام تسهل خدمتها ويغيض فيها ماء الري بسرعة ولذا تحتاج للري الغزير والمتوالي ولجفافها يبكر نضج محصولاتها

واحسن ما تجود زراعتهُ فيها الفول السوداني والسمسم والنباتات البصلية والدرنية والخضراوات والمقاتي — البطيخ والخيار الخ — والشعير والحناء والذرة الرفيعة بشرط ان تسمَّد كلها . ولان هذه الارض مركبة من حبوب الرمل الصلبة التي لم تسحقها المؤثرات الطبيعية يقل الغذاء المعدني فيها خلافاً للارض الطينية فانها غنية بهِ لاحتوائها بكثرة على ذرات الطين الدسمة الدقيقة

وكلما كثر في الارض الرملية الغبار الرملي صارت اكثر احتواءً للخصب واقرب الى الجودة وتنجح فيها اشجار الفاكهة والنخيل اذا اعتني بها ثم نبات الفصلية البقلية التي منها البرسيم والفول والحلبة والترمس والجلبان لانها تستفيد غذاءها الازوتي من الجو ولها فضل في تخصيب واصلاح هذه الارض ببقاياها

ويجب ان يحترس في تسميد الارض الرملية فلا تسمد بكمية كبيرة دفعة واحدة فيفقد السماد مع ماء الري الذي يغيض بها في اغوار الارض فلا ينتفع منهُ النبات الاَّ قليلاً بل يجب ان لا يوضع فيها الاَّ بكميات قليلة ولكن بالتوالي مرة بعد مرة خصوصاً السماد السريع الذوبان كالسماد الكفري والكيماوي . واجود اصناف هذه الارض هي التي يجري تنييلها سنويًّا فتكتسب من الطمي ما يحسن طبائعها ويزيد خصبها

اما الارض الرملية الفاسدة وتسمى لغة العاقر وهي الرملة لا تنبت شيئًا اي التي لم تستصلح للزراعة فيمكن زراعتها بعد تسوية سطحها وجلب مياه النيل اليها و بتوالي التنييل والزراعة يتحسن معدنها فتزرع كالارض الرملية الزراعية

واذا تعذر جلب ماء النيل اليها فيمكن حفر الآبار فيها (والارتوازية منها افضل) وزراعتها عليها خصوصاً باغراس الاشجار والنخيل ومتى تظللت بها امكن زراعتها ببعض الخضراوات والمزروعات الصغرى والمقاتي

وتستصلح الارض الرملية بالتنييل والتسميد وخلطها ببقايا النباتات وبالطين وبحرث الحشيش الاخضر كالبرسيم فيها فتتحسن طبائعها وتحسن فيها انواع النباتات الاخرى

احمد الالفي بمزارع البرنس طوسون

المواسم المصرية

نشرت مصلحة الزراعة تقريراً عن حالة المزروعات في ٢٢ نوفمبر فقالت ان متوسط الحاصلات في السنوات العشر الماضية كان على ما في هذا الجدول

القطن	٤٫٣٨	قنطار	للفدان
القمح	٤٫٤٥	اردب	〃
الشعير	٤٫٨٧	〃	〃
الرز	٦٫٠٠	〃	〃
الذرة	٦٫٨٨	〃	〃

اما درجة المواسم هذا العام فتعلَم من الجدول التالي فان كانت درجة الموسم مثل متوسط السنوات العشر الماضية جعلت درجة ١٠٠ وان كانت اعلى منها بمقدار الربع جعلت درجتهُ ١٢٥ وان كانت اوطأَ منها بمقدار الربع جعلت درجتهُ ٧٥ اي اذا كان متوسط المحصول في السنوات العشر الماضية اربعة قناطير او اربعة ارادب وظهر ان متوسط المحصول سيكون هذا العام ٥ قناطير او خمسة ارادب قيل ان الدرجة ١٢٥ واذا ظهر ان المتوسط سيكون ٣ قناطير او ثلاثة ارادب قيل ان الدرجة ٧٥ . وفي الجدول التالي مساحة الاراضي المزروعة من كل نوع من المزروعات في الوجه البحري والوجه القبلي ودرجة كل نوع منها

الموسم	الزمام في الوجه البحري افدنة	الزمام في الوجه القبلي افدنة	المجموع	الدرجة في الوجه البحري	الدرجة في الوجه القبلي	المتوسط
القمح	٦٣٥٨٩٩	٦٠١٩٢٢	١٢٣٧٨٢١	١٣٢	١١٧	١٢٥
الشعير	١٥٥٥١٣	٢١٤٦٣٠	٠٣٧٠١٤٣	١٢٧	١١٢	١١٨
الفول	٠٧٣٤٣٥	٤٦٧٩٧٠	٠٥٤١٤٠٥	١٠٠	١٣٠	١٢٦
البصل	٠٠٥٤٦٣	٠٢٠٣٤١	٠٠٢٥٨٠٤	١٢٥	١١٨	١٢٠
القطن	١٣٤٧٥٢٣	٣٦٣٧٠٥	١٧١١٢٢٨	٠٨٤	٠٩١	٠٨٥
البطيخ	—	—	—	متوسط جيد		
الرز	٠٢١١٨٣١	٠١٥٢٧٨	٠٢٢٧١٠٩	٩٧	—	٠٩٧
قصب السكر	٠٠٠٣٨١٠	٠٤١٧٨٨	٠٠٤٥٥٩٨	—	١١٥	١١٥
الذرة البلدي الذرة الشامي	١١١٦٠٣٣	٦٥٣٠٥٣	١٧٧٢٦٨٦	٩٧	١٠٥	١٠١

وقالت مصلحة الزراعة في آخر تقريرها ان المطر وقع في الايام العشرة الاولى من فبراير فزاد ضرر القطن ولا سيما في الدقهلية والشرقية

هذا واذا حسبنا مقدار موسم القطن بحسب هذا التقرير اي اذا جعلنا درجتهُ ٨٥ من متوسط السنوات العشر الماضية وهو ٤٫٣٨ قنطار وجدنا انهُ سيكون نحو ستة ملايين و٣٧١ الف قنطار فيكون قد نقص عن الموسم الماضي نحو مليون وربع من القناطير او نحو ١٦ في المئة

باب الصناعة

ربح الصناعة والتجارة

اخبرنا احد الاصدقاء انهُ طلب من مخزن من مخازن باريس دستة (١٢) من الياقات (القبات) ولما لم يجد فيهِ القياس المطلوب وعدهُ صاحب المخزن ان يرسل اليهِ ما طلب في اليوم التالي. وفي الميعاد ارسل اليهِ الياقات وطلب ثمنها ١٨ فرنكاً ولما فتح صديقنا الرزمة التي فيها الياقات وجد ان صاحب المعمل وضع فيها ورقة بثمنها وهو ١٠ فرنكات فكأَنَّ التاجر صاحب المخزن يربح اكثر من ٤٤ في المئة ولا ندري كم هو ربح الصانع صاحب المعمل ولكن العاملين بالصناعة كثار جدًّا في كل البلدان الاوربية ففرنسا مثلاً بلاد زراعية كما هي بلاد صناعية وقد وُجد بالاحصاء سنة ١٩٠٦ ان عدد العاملين فيها بالزراعة ثمانية ملايين و ٧٧٧ الفاً وعدد العاملين بالصناعة ستة ملايين وعدد العاملين بالتجارة مليونان فيكاد عدد العاملين بالصناعة يوازي عدد العاملين بالزراعة وهو ثلاثة اضعاف العاملين بالتجارة. وعدد كل الذين يتعاطون الاعمال المختلفة ٢٠ مليوناً و٧٢٠ الفاً والباقون نساء واطفال فالصنائع يعيش بها ثلاثون في المئة من الذين يتعاطون الاعمال او ثلاثون في المئة من السكان كلهم

ولا يخفى ان اكثر عمَّال فرنسا في سعة من العيش فلا بدَّ من ان يكتسبوا ما يقوم بنفقاتهم ويزيدوا عليها حتى يتيسَّر لهم ان يدَّخروا بعض دخلهم كما هو مشهور عنهم وقد لا يكون ربحهم كلهُ من الصناعة بل يكون بعضهُ من الصناعة وبعضهُ من الزراعة

والظاهر ان ربح الصناعة ليس كبيراً فانهُ ورد الى فرنسا من القطن سنة ١٩٠٩ ما ثمنهُ ١٩ مليوناً من الجنيهات وصدر منها من المنسوجات القطنية ما ثمنهُ ١٣ مليوناً فاذا اضفنا

اليها ما ثمنهُ ٢٠ مليونًا استعملت في فرنسا فيكون الفرق بين ثمن القطن وثمن ما نسج منهُ اربعة ملايين من الجنيهات فقط وهي اجرة ١٦٧ الف عامل فمتوسط ما يصيب العامل منهم في السنة اقل من ٢٤ جنيهاً يخرج منها ربح اصحاب المعامل وربا رأس مالهم وثمن ما يستعمل في المعامل من القوة البخارية او المائية

ولكن يضاف الى هذا الربح ربح آخر ينالهُ غير الحاكة من الصناع كالخياطين والطرازين وحابكي الخرج وامثالهم فقد صدر من باريس سنة ١٩٠٩ من الثياب ونحوها ما ثمنهُ ٧ ملايين من الجنيهات ومن لوازم الازياء الجديدة ما ثمنهُ خمسة ملايين من الجنيهات وجانب كبير من ذلك من المنسوجات والثياب القطنية

وسواءٌ كان ربح الصناع كثيراً او قليلاً فلا شبهة في كثرة ربح التجار وفي ان ثمن البضائع الواردة الينا من اوربا تضاف اليهِ اجرة الشحن ورسوم الجمرك وربح جالبي البضائع . اردنا بالامس ان نشتري خزائن للكتب مصنوعة في انكلترا وعلمنا ان المعمل الذي يصنعها ينقص للتاجر الاوربي ٣٥ في المئة من ثمنها المذكور في لائحة المعمل فرضينا ان نشتريها بالثمن الذي تعطى بهِ لهُ وندفع كل نفقات الشحن والجمرك ونعطيهُ ربحًا ٢٥ في المئة فلم يقبل واخيراً اضطررنا ان ندفع ثمنها الاصلي ونضيف اليهِ ٢٥ في المئة . اي ان الخزانة التي دفعنا ثمنها ١٢٥٠ غرشاً لم يدفع ذلك التاجر من ثمنها ونفقات شحنها ورسوم جمركها الى ان وصلت الى القاهرة سوى ٨١٢ غرشاً فكأنهُ ربح اكثر من خمسين في المئة . فلو صنعت هذه الخزائن في القطر المصري وكانت وسائل العمل ميسورة فيهِ كما هي ميسورة في البلاد الانكليزية لامكن بيعها بعشرة جنيهات وربح الصانع والتاجر ربحًا كافيًا واقتصد مشتريها نحو ربع الثمن . وقس على ذلك اكثر المصنوعات الواردة الينا من البلدان الاوربية

اتقان الصناعة

ان كلمة اتقان يونانية الاصل ومعناها باليونانية صناعة . وقدم استعمالها في العربية يدلُّ على ان المتكلمين بالعربية كانوا يتعلمون الصنائع من اليونان او كان صنَّاع اليونان يعملون في بلادهم يؤيد ذلك استقدام خلفاء بني امية للصناع من بلاد الروم لكن وجود هذه الكلمة في لغتنا لا يستلزم ان صناعنا يفهمون معناها او يعملون بها

تصنع خزانة عند نجار اوربي او تأتي بها من اوربا فتمرُّ عليها السنون وهي على حالها . وتصنعها عند نجار بلدي فيتورب خشبها و يزول دهانها وتعصى ادراجها . تجد مقعداً عند

منجد اور بي فتمرُّ عليهِ السنون وهو على حالهِ وتجدهُ عند منجد بلدي فتراهُ في اول الامر يابساً كالخشب و بعد قليل تفلت اسلاكهُ من مرابطها و يتلف

فاذا اردنا ان نروج الصناعة البلدية عندنا وجب على الصناع ان يأْخذوا الصناعة عن اربابها و يتقنوا مصنوعاتهم تمام الاتقان · و بعضهم يفعل ذلك الآن ببعض المصنوعات ولكن جمهورهم لا يتقن شيئًا

وحبذا لو اهتمت الحكومة المصرية بانشاء معرض صناعي وطني تعرض فيهِ المصنوعات الوطنية سنة بعد سنة وتعطى الجوائز لاصحاب المصنوعات المتقنة

الصباغة

اخترنا هذه الصناعة للكلام فيها بالاسهاب التام لانها معروفة مستعملة في بلادنا فيستطيع الصباغون ان يقفوا على الفوائد الجديدة فيها و يستعملوها · واعتمادنا فيها على مقالة للاستاذ همل استاذ الصباغة في جامعة ليدس ببلاد الانكليز ومؤَلف كتاب صبغ المنسوجات · والدكتور نشت استاذ الكيمياء الصناعية في جامعة منشستر ومؤَلف كتاب الصباغة المدرسي ومحرر مجلة جمعية الصباغين · وسنتوخى البسط فيها حتى يفهمها الجميع و يستفيدوا منها

نبذة تاريخية

صناعة الصباغة قديمة جدًّا وجدت قبل عصر التاريخ والمرجح انها كانت في بدء العمران · ولا نعلم كيف كانت في اول امرها ولا درجات ارتقائها ولكن المرجح انها كانت في اول امرها كما هي عند بعض القبائل التي ليس لها نصيب من العمران كاهالي زيلندا الجديدة الاصليين

وكانت الاصباغ في اول الامر غير ثابتة فتنفض سريعاً وتحصل من عصارة الاثمار ونقاعة الازهار والاوراق والقشور والجذور · ثم اهتدى الناس الى تثبيتها بواسطة الطين الذي فيهِ الومينوم او حديد ومن ثم ابتدأَت صناعة الصباغة الحقيقية

ولا شبهة ان الصباغة كانت في اول الامر صناعة بيتية تمارسها المرأَة في بيتها كما تمارس الغزل والنسج · ولا يزال الامر كذلك في بعض البلدان الشرقية فقد كنا في صبانا نشاهد النساء يصبغن الغزل والنسج بقشور الرمان والعفص والزاج وضفائر الحرير بهِ وبالفوَّة

وتدلُّ كتب التاريخ على ان الفرس والهنود والصينيين بلغوا درجة سامية من العمران في قديم الزمان وانهم كانوا يعرفون الصباغة وطبع المنسوجات و برقشتها وان تجار العرب جاءُوا بمنسوجات الهند الى مصر وفينيقية لان التجارة بينهما و بين الهند كانت سائرة من قديم

الزمان بطريق خليج فارس وخليج العرب . ثم جعل المصريون يصبغون المنسوجات و يطبعونها والظاهر انهم تعلموا هذه الصناعة من الهند ونقلوا منها الاصباغ . وقد وصف بلينيوس المؤرخ الطريقة التي كان المصريون يجرون عليها في الصباغة والتي كان اهالي صور يستعملونها في صبغ الارجوان . ويظهر من البحث الكيماوي في ثياب المحنطات المصرية ان المصريين الاقدمين كانوا يصبغونها بالنيل والفوة . ونقل التجار الفينيقيون والمصريون الاصباغ الى بلاد اليونان ولكننا لا نعلم الاساليب التي كان صباغو اليونان والرومان يستعملونها . ثم فقدت هذه الصناعة من ايطاليا بتوالي الحروب واعيدت اليها في القرن الثالث عشر . ومن ثم اخذت في النجاح المستمر . ونشر في اوربا اول كتاب في الصباغة سنة ١٤٢٩ وذلك في مدينة البندقية . وامتدت صناعة الصباغة من ايطاليا الى المانيا وفرنسا وهولندا . ومن هولندا جاء الملك ادورد الثالث بالصباغين الى بلاد الانكليز فانشئت جمعية لهم في مدينة لندن سنة ١٤٧٢

ثم زادت الصباغة نجاحاً باكتشاف اميركا سنة ١٤٩٢ واكتشاف طريق الى الهند حول افريقية سنة ١٤٩٤ فجيء الى اوربا بكثير من الاصباغ الجديدة وجيء من الهند والصين بكثير من المنسوجات فتساءل الناس عن كيفية صبغها وعرفوهُ . وجعل اهالي اوربا يهتمون بزرع النباتات التي تستخرج منها الاصباغ كالسماني (نوع من النباتات التي يصبغ بها) والفوة في فرنسا والمانيا وهولندا وذلك سنة ١٥٠٧ وتوسَّع اهالي هولندا في صناعة الصباغة واتقنوها ولما دخل الاسبانيون بلاد المكسيك سنة ١٥١٨ انتبهوا الى استعمال اهاليها للصبغ الاحمر من الدودة وللحال جلبوها الى اوربا فرغب فيها الاوربيون واكثروا من استعمالها . وسنة ١٦٣٠ اكتشف در بل الكيماوي الهولندي اتفاقاً ان مذوب املاح القصدير يجعل لون الدودة على الصوف احمر زاهياً فكان لهذا الاكتشاف شأن عظيم واستعمل في مصابغ الغوبلين بباريس ثم في مصابغ بو قرب لندن

واهتمت الجمعية الملكية في بلاد الانكليز بصناعة الصباغة سنة ١٦٦٢ ونشرت كتاباً في تاريخها . و بعد عشر سنوات نشر الوزير كولبر الفرنسوي بعض القواعد في علم الصباغة يجري عليها صابغو الصوف وناسجوهُ . ومن ثمَّ جعلت الحكومة الفرنسوية تعنى بتعيين مهرة الكيماويين للبحث في الصناعات ولاسيما في الصباغة لاصلاحها وترقيتها فبحثوا في الاصباغ المختلفة بحثاً كيماوياً من سنة ١٧٠٠ الى سنة ١٨٢٥ و بينوا كيفية فعلها بما يصبغ بها . وقد تقدَّمت هذه الصناعة بتقدُّم علم الكيمياء الحديث ولاسيما باكتشاف الازرق البروسياني سنة ١٧١٠ والازرق السكسوني او خلاصة النيل سنة ١٧٤٠ والحامض الكبريتيك (زيت الزاج) سنة ١٧٧٤ !

وفرفرات الامونيا (١٧٧٦) والحامض البكريك (١٧٨٨) وكربونات الصودا (١٧٩٣) ومسحوق القصَّارين (١٧٩٨) · واجريت التجارب الكثيرة في انكلترا وفرنسا

وبقي الاعتماد على الاصباغ الطبيعية حتى اواسط القرن التاسع عشر الاَّ في ما ندر · وسنة ١٨٣٤ لاحظ رنج الكيماوي الالماني ان الانيلين الناتج من استقطار قطران الفحم الحجري يصبغ صبغًا ازرق زاهيًا اذا كان معهُ مسحوق القصارين ولكن لم ينتبه احد الى استخراج صبغ منهُ حتى قام السر وليم بركن سنة ١٨٥٦ واستحضر منهُ اول صبغ احمر من اصباغ الانيلين وللحال توالى اكتشاف الاصباغ المختلفة من قطران الفحم الحجري بسرعة فائقة كالاحمر والازرق والبنفسجي والاخضر والاسمر والاسود · وسنة ١٨٦٩ نجح الكيماويان الالمانيان غربي ولبرمَن في استحضار الاليزرين من قطران الفحم (اي الصبغ الموجود في الفوَّة) وهو اول صبغ نباتي امكن عملهُ كيماويًّا ومن ثمَّ كثر عمل الاصباغ النباتية بواسطة الكيمياء ولاسيما صبغ النيل او النيل الصناعي الذي صنعهُ بير سنة ١٨٧٨ فنابت الاصباغ الصناعية مناب الاصباغ الطبيعية

وجعل الكيماويون والمهندسون يصلحون الآنية والاساليب المستعملة في الصباغة حتى تنتج احسن النتائج باقل ما يكون من الوقت والنفقة فزاد الاتقان وقلَّت النفقات

مبادئ الصباغة

الصباغة فرع من الكيمياء الصناعية اساسهُ المبادئ الكيماوية والطبيعية التي يراد بها اتحاد الصبغ بما يصبغ بهِ اتحاداً ثابتاً

فاذا غلينا القطن او الصوف في ماء فيهِ مسحوق الفحم او مادة اخرى من المواد التي لا تذوب في الماء تلوَّث القطن والصوف بها ولكنهما لم يُصبغا وسبب تلوثهما ان دقائق الفحم او المادة الاخرى التي لا تذوب في الماء تمسك مسكاً بين الياف القطن والصوف او بين الحراشف التي تغطي اليافها فتسودها ولكن يمكن نزعها من اماكنها بالغسل والفرك والدعك · ولا تصبغ هذه الالياف صبغًا حقيقيًّا الاَّ اذا ذاب الصبغ اولاً وامتصتهُ الالياف او التصقت بهِ وجُعل غير قابل للذوبان وهو فيها او ملتصق بها فلا بدَّ من الفة طبيعية او كيماوية بين الياف المادة التي يراد صبغها والمادة التي تصبغ بها · وهذه الالفة تتوقف على خواص الصبغ والمصبوغ الطبيعية والكيماوية

ومن المعلوم ان الياف الصوف والحرير والقطن لا تجري على نسق واحد من حيث الفتها للنوع الواحد من الاصباغ ولذلك تختلف اساليب الصباغة باختلاف المواد التي يراد صبغها ·

ويقال بنوع عام ان الفة الصوف للاصباغ اشد من الفة الحرير والقطن لها فيصبغ بسهولة · وان الفة القطن اقل من الفة غيرهِ فيصبغ بصعوبة · والحرير بَيْنَ بيْن · وسبب هذا التفاوت بين الصوف والحرير والقطن اختلاف في بنائها الطبيعي وتركيبها الكيماوي

ثم ان المادة الواحدة مثل القطن لا تصبغ بكل الاصباغ على حدٍ سوى فقد لا تصبغ بهذا الصبغ مطلقاً وتصبغ بغيرهِ بسهولة · وقد يتعذر صبغها باحد الاصباغ ما لم تعدَّ لذلك بواسطة ملح معدني او بواسطة الحامض العفصيك او مادة اخرى من المواد التي تتحد بالصبغ وترسبهُ في الياف القطن او عليها بصورة غير قابلة الذوبان ولعلَّ سبب ذلك هو الاختلاف في تركيب الاصباغ الكيماوي

ثم ان اصباغ قطران الفحم الحجري يعرف تركيبها الكيماوي وقد قسمها الكيماويون اثني عشر قسماً ولكن هذا التقسيم لا يهمُّ الصباغين وخير منهُ لهم تقسيمها وتقسيم كل الاصباغ الى السبعة الاقسام التالية وهي (١) الاصباغ الحامضة اي التي يصبغ بها في سائل حامض (٢) الاصباغ القاعدية اي التي هي املاح فعلها قائم بقاعدتها (٣) الاصباغ التي تصبغ القطن مباشرة من غير واسطة لتثبيت لونها (٤) الاصباغ التي يتولد لونها في الالياف بواسطة مواد اخرى تفعل بها (٥) الاصباغ التي تثبت بواسطة بعض المواد المثبتة (٦) الاصباغ المتفرقة التي لا تدخل في باب من الابواب المتقدمة (٧) الاصباغ المعدنية

وسيأتي الكلام على هذه الاصباغ وكيفية الصبغ بها · وسنجتهد حتى يكون الكلام بسيطاً مألوفاً يفهمهُ الصباغون ويستفيد منهُ غيرهم من طلاب المعرفة

باب المراسلة والمناظرة

نظر في معجم الحيوان

(تابع ما قبلهُ)

٥٠ (السمَرْمَر) اظن ان هذه اللفظة منحوتة من «السمر» مكررة · (كما بينت امثال ذلك في المشرق وقد اثبتُّ ان ما كان على وزن فعلعل منحوت من فعل فعل) كأَنَّ منقار هذا الطائر بمنزلة مسمار يسمر بهِ الجرادة · وجاءَ في معجم دوزي اسم آخر للسمرمر وهو

« سفر مادي » هكذا بدون ضبطٍ وبدون اشارة الى الاصل وقال : هو المعروف باسم طير الجراد · وهو طويئر يتطلَّب الجراد ويقتلهُ · قلت : اما ضبط هذه اللفظة « فهي سَفَرْ مادي » او سَفْرَ مادي ويقال ايضاً صَفرْ مادي · والكلمة يراد بها السمرمر عند الاراميين وهي في لسانهم بمعنى الطائر المخلص (من الجراد) ويحتمل معنىً آخر « طويئر ماذي » اي بلاد ماداي لكثرتهِ في تلك البلاد · واسم السمْرمر معروف بهذا اللفظ في كل العراق وبلاد السواد والجزيرة · وهو كثير · ولعلَّ السوادية للزرزور منسوبة الى بلاد السوَاد لكثرتهِ فيها · وقد نُسب كثير من الطيور الى البلاد وهذا النوع من التسمية شائع عند العرب والافرنج معاً

٥١ً (الكناري او الحزار لا الحراز) ذكرتَ في كلامك عن الكناري ان احمد فارس سماهُ الحراز وقلت انك لم تقف على اصل هذه اللفظة » قلتُ : اظن ان الحراز من تصحيف الطبع والاصح الحزار اي بحاءٍ مهملة بعدها زاء منقوطة ثم الفٌ وراءٌ مهملة · وقد اخذها من بكتور فقد ذكر هذا الكاتب في معجمهِ Canari وبالعربية سماهُ حزَار—ترنجي— وقد ضبط الحاء مضمومة والاصح انها بالفتح والكلمة تصحيف هزار · والترنجي نسبة الى الترنج لصفرة لونهِ

٥٢ً (التمَّرة او ابو تمرة) العراقيون من اهل البادية يسمون التمرة ابا تمرة ويريدون بهِ طائرًا غير المسمى Nectarinia بل المسمى Anthus وبالفرنسوية Pipit

٥٣ً (سِنُّ المنجَل أَو القرُقُف أَو القرُقُب والرَّميز) الطويئر الذي يسميهِ اهل الشام بسن المنجل يسميهِ عامة اهل العراق القرْقُف او القرْقُب واظن ان الاصل هو القرقف بالفاء من قرقف الرجل اذا أُرعد · لانك ترى هذا الطائر كثير الحركة خفيفها دائم العمل حتى تظنهُ كأَنهُ يرتعد · والقرقب تصحيف القرقف قال في التاج : القرقف كهدهد طير صغار كأنها الصعاء (جمع صعو) او هو القرقب بالباء الموحدة على ما حقَّقهُ الازهري · اه · وبعضهم يُسميهِ الرَّميز على ان الرميز نوع منهُ اسمهُ بالفرنسوية Mésange rémiz ولا شك انها من اصل عربي وهي بلسان العلم Parus aegithalus وليس للفظة الرميز وجود في كتب اللغة بمعنى هذا النوع من القرقب الاَّ انهُ ورد بمعنى الكثير الحركة وهو نفس ما يراد من معنى القرقب على ما بيَّنَّاهُ

٥٤ً (البلبل والهزار) ان ما نبهتَ اليهِ من دقائق الحقائق قد نبهت عليها قبل عشرين سنة · وقد اتفقنا كلانا في تحقيق اللفظ · ومن الوهم الشائع عند بعضهم ان الهزار

لا وجود لهُ في العراق ٠ وهو موجود بكثرة في خُرَاسان و بَعْقُوبا وبرَاز الرُّوز (بَلَدْ رُوْز) واهل تلك الارجاء يسمونهُ الهزار وهو غير البلبل

وعندي ان الكلمة « ابو هرون » المستعملة بمعنى الهزار مصحفة عن كلمة يونانية تبتدئُ بالمتوجة hype او hypo فتكون مثلاً اما تعريب hyporrhinos ومعناهُ المخنخن او مشتقة من فعل hyporcheomai ومعناهُ رقص على صوت الغناء او صوْتِ آلة غنائية او رقص وغنى ٠ او ان تكون تعريب hyperonkos ومعناهُ منتفخ او متكبر وانت تعلم ان هذا الطائر إذا أَخذ بالغناء انتفخ عنقهُ ٠ على اني لا اقطع بكون اللفظة معربة عن هذه الاخيرة بل اجزم بان الكلمة « ابو هرون » ليست عربية بل يونانية الاصل ٠ لان ليس في الاصول العربية ما يؤَدي المعنى المطلوب من لفظ الهزار مثلاً

٥٥ً (الكَكم او الكُوْكُو والقوْقل) اني كنت قد استنتجت قبل نحو ٣٠ سنة ان الككم والكوكو ظائر واحد ٠ ثم رأَيتُ ان العرب سمَّتهُ « القوقل » لان الكوكو باللاتينية هو Cuculus وهذه تناسب القوْقَل تعريباً ٠ الاَّ ان لغوي العرب عرفوا القوقل بذكر الحجل والقطا واظن هذا من اوهامهم او لما بين الكوكو وهذين الطائرين من المناسبة في الخارج والمشابهة في الريش ٠ وهذا لا يمنع كون الككم هو الكوكو ايضاً اذ قد توضع عدة اسماء لمسمى واحد ٠ وقد ذكر بكتور بين اسماء الكوكو : الطاطوى والوقوق والطكوك وهي مثل لفظة تكوك لكن بكتور نبه على انها بربرية لا فلسطينية فلتحرَّر

ومن الاسماء الواردة عند العرب بمعنى الككم « الكُنكُر » وزان هُدْهُد ٠ قال ياقوت الحموي في كلامهِ عن طبرستان ما نصهُ : قال عليّ بن رزين الطبري كاتب المازيار وكان حكيمًا فاضلاً لهُ تصانيف في الادب والطب والحكمة قال : في طبرستان طائر يسمُّونهُ « كُنكُر » يظهر في ايام الربيع فاذا ظهر تبعهُ جنس من العصافير موشاة الريش فيخدمهُ كل واحد منها نهارهُ اجمع يجيئهُ بالغذاء ويزقهُ بهِ فاذا كان آخر النهار وثب على ذلك العصفور فأكلهُ حتى اذا اصبح وصاح جاءَهُ آخر من تلك العصافير فكان معهُ على ما ذكرنا فاذا امسى اكلهُ فلا يزال على هذا مدة ايام الربيع فاذا زال الربيع فُقد هو وسائر اشكالهِ وكذلك ايضاً ذلك الجنس من العصافير فلا يرى شيءٌ من الجميع الى قابل في ذلك الوقت ٠ وهو طائر في قدر الفاختة وذنبهُ مثل ذنب الببغاء وفي منسرهِ تعقيف ٠ هكذا وجدتهُ وحققتهُ ١٠ ه ٠

وهذا الكلام يشبه كلام الدميري في بعض اقسامهِ الاَّ ان الدميري اخرجهُ في الآخر مخرج الخرافة فأَفسد الحقيقة بما طرسهُ من عندهِ وحكاية علي الطبري تقرب كل القرب

من الحقيقة . ونظن ان اللغة الفصحى في هذا الطائر الكنكر وهي كلمة فارسية وردت في البرهان القاطع ايضاً . وقد صحفها الكتاب والنُسَّاخ بصورة ككم . وكلا ككم و كنكر مصحفة عن ككو و كُوكُو كما وردتا في نسخ ياقوت القديمة ووردت معها تصحيفات اخرى منها ككر وككوا وكركر . والخط العربي يساعد الناسخ على هذا التصحيف

اما (ككر) فقد وردت في نسخة باريس . (وككو) وردت في نسخة اكسفرد وهي من اصح النسخ . وككوا في نسخة برلين . وقد زاد الكاتب الفًا جهلاً منهُ وظنًّا انها من قبيل دَعَوْا ماض معلوم للغائب المجموع . وكنكر في النسخة الاصلية التي طبع عليها وستنفلد كتابهُ . وكُركر من تصحيف الكتاب

فقد اتضح ان الككم والكنكر هو الككو او الكوكو بدون شك وريب امّا من وصف الكتَّاب لهُ واما من الاطلاع على النسخ القديمة . الاَّ ان البرهان القاطع يترجم الكنكر بالبوم ونظنهُ مخطئًا في هذا النقل كما اخطأَ في غيرهِ . وذكر ادولف برجه في معجمهِ الفارسي الفرنسوي الكوكو وقال انهُ لفظ فارسي وبالفرنسوية Coucou كذا والاصح انهُ سمي بحكاية صوتهِ . وذكر البرنس اسكندر خنجري في معجمهِ الفرنسوي العربي الفارسي التركي الكوكو فقال : ساق حرّ (كذا)

بغداد ساتسنا

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الوراثة والزواج

قلما يخطر ببال طالبي الزواج سواءٌ كانوا من الفتيان او الفتيات ان ينتبهوا الى امر الوراثة وما قد تجرهُ عليهم وعلى ذريتهم من الويلات والمصائب بل غاية ما يفتكرون بهِ المال او الجاه او الجمال وربما نظر الراقون منهم الى الاخلاق واعاروها شيئًا من التفاتهم . ولا يخفى ان للاخلاق علاقة كبيرة بالوراثة كما سيجيء اما الامراض الموروثة او المكتسبة التي تنتقل الى الذرية فقلما يلتفتون اليها

فاول واجب على طالب الزواج ان يخبر الفتاة التي يرغب في جعلها شريكة حياتهِ بجميع الآفات التي فيهِ او الموروثة في بيتهِ سواء كانت بدنية او عقلية او ادبية وذلك قبل تمكن العلائق بينهُ و بينها لئلاَّ يصعب عليها حينئذٍ ان تزن هذه الامور بميزان العقل · والشاب الذي يحجم عن ذلك جبان لئيم يخدع نفسهُ و يخدع الفتاة التي يتزوجها و يجني عليها وعلى ذريتهِ· واذا فرض انهُ اخفى هذه الامور عنها فلا بد ان تعرفها في المستقبل فتكون النتيجة احتقارها لهُ وما يجلبهُ الاحتقار من الكره ونكد العيش· فالاولى بهِ ان يخبرها بها قبل ارتباطها بهِ فيزيد احترامها لهُ · وما قيل عن الشاب ينطبق على الفتاة فعلى اهلها ان يخبروهُ بكل هذه الامور

ثم عليهِ ايضاً اذا كان في بيتهِ امراض او عيوب موروثة او كان هو مصاباً بمرض من هذه الامراض او عيب من هذه العيوب ان يستشير طبيباً خبيراً في امر زواجهِ و يشرح لهُ حالتهُ بكل صراحة و يوقفهُ على كل شيء ويعمل بمشورتهِ ولا ارى مانعاً يمنع ذوي الفتاة من ان يطلبوا منهُ شهادة من طبيبهِ وطبيب آخر يعتمدون عليهِ فان احدى الولايات المتحدة في اميركا قد سنَّت قانوناً يقضي على كل طالب للزواج ان يأتي بشهادة طبية قبل عقد زواجهِ

وقد يقع الطبيب في حيرة اذا سئل عن شخص يعالجهُ فالآداب الطبية تقضي عليهِ ان لا يبوح باسرار المرضى الذين يعالجهم ولا يحق للاجانب ان يسألوهُ مثل هذا السؤَال ولو فرض انهُ سئل فعليهِ ان يرفض الاجابة رفضاً باتاً ثم يستدعي الشخص الذي سئل عنهُ ويلحّ عليهِ في الامتناع عن الزواج فاذا رفض العمل بمشورتهِ يكون الطبيب معذوراً اذا اشار على ذوي الفتاة بان لايقبلوهُ زوجاً لابنتهم · هذا هو رأي بعض الاطباء لكن اكثرهم يكتمون اسرار مرضاهم الى النهاية وهو ما تقضي بهِ الآداب الطبية وما يقضي بهِ القانون في اكثر الحكومات

وهاك اهمَّ الامراض والعيوب التي يجب ان ينتبه لها والتي قد تنتقل بالوراثة

ادمان المسكر · هو من اكبر العيوب وقد ينتقل بالوراثة ولهُ علاقة كبيرة بالجنون والصرع وارتكاب الجرائم· والبله سببهُ ادمان الوالدين في كثير من الاحوال فان ٢٥ في المئة من البله آباؤُهم سكيرون

الجنون والصرع · متى كان الجنون وراثياً في العائلة وظهر في شخصٍ او اكثر من العقب الواحد قد ينتقل في العقب الذي بعدهُ الى اولاد الاصحاء اي انهُ اذا تزوج رجل بامرأة وكان الجنون وراثياً في عائلة احدهما وولد لهما اولاد واصيب بعض اولادهما بالجنون دون

غيرهم ثم تزوج الاصحاء الذين لم يصابوا وولد لهم اولاد فقد يصاب بعض اولادهم بالجنون ٠ فيجب على كل رجل اصيب بالجنون ان لا يتزوج البتة سواءٌ كان الداءُ ملازماً لهُ او اصيب بهِ مرة وشفي منهُ ٠ ويجب على كل رجل يكون الجنون وراثيًّا في عائلتهِ ان لا يتزوج فتاة في عائلتها هذا الداء واذا كان سليماً ولم يظهر فيهِ المرض قط فلا بأس بزواجهِ في عائلة سليمة من الجنون او غيرهِ من الامراض العصبية ٠ اما الفتاة التي في عائلتها مجانين ولا سيما اذا كان الجنون في احد ابويها او اخوتها او اخواتها فيجب ان لا تتزوج لانهُ قد يمر عليها في ادوار حياتها ما يجعلها عرضة للاصابة بالجنون كالنفاس او العمليات الجراحية

اما الصرع اي داء النقطة فهو في غالب الاحيان من الامراض الموروثة وقلما يصاب بهِ من ليس في عائلاتهم امراض عصبية فالمصابون بهِ يجب ان لا يتزوجوا

البكم ٠ البكم الذين لا يسمعون ولا ينطقون منذ ولادتهم وهم في غالب الاحيان مصابون بالبله يجب ان لا يتزوجوا لان الداء قد ينتقل الى ذريتهم ٠ اما الذين تعرض لهم آفة بعد الولادة فيفقدون السمع والنطق فلا يكون الداءُ وراثيًّا فيهم ولا مانع من زواجهم

المجرمون ٠ ان الميل الى ارتكاب الجرائم خللٌ في العقل قد ينتقل الى الذرية كغيرهِ من العيوب فيجب على المصابين بهِ ان يمنعوا منعاً تامًّا عن الزواج

السلّ ٠ التدرن على انواعهِ ليس وراثيًّا بل هو داءٌ مكتسب سببهُ مكروب معروف اما الاستعداد لهُ فقد يكون وراثيًّا فالذين في عائلاتهم هذا الاستعداد يجب ان لا يتزوجوا الاَّ في عائلات سليمة منهُ فاذا فعلوا ذلك جاء اولادهم خالين من هذا الاستعداد او كان الاستعداد فيهم ضعيفاً ثم يزول بتوالي الاعقاب

الزهري ٠ يجب على من اصيب بهِ ان يستشير طبيباً خبيراً قبل اقدامهِ على الزواج

الزواج بين الاقارب ٠ جاء في الحديث اغتربوا ولا تضووا اي تزوجوا في الاجنبيات ولا تتزوجوا في العمومة وذلك ان العرب تقول ان ولد الرجل من قرابتهِ يجيءُ ضاوياً نحيفاً غير انهُ يجيءُ كريماً على طبع قومهِ اذا كانوا كرماء ٠ فان الزواج بين الاقارب يقوّي العيوب والطباع الكريمة التي تكون في العائلة ويجعل المولود اكثر استعداداً لاصابتهِ بالامراض الوراثية التي فيها فالذي في عائلتهِ امراض او عيوب سواءٌ كانت عقلية او ادبية يجب ان يتزوج في عائلة خالية منها فيكون ولدهُ اقل استعداداً لها (طبيب)

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. و يشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا و يعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) لغة البرابرة

حلفا. ميخائيل افندي حبيب اركان حرب الحملة المائية. في اصوان برابرة يتكلمون لغة بربرية ويسكنون شاطئ النيل ما بين اصوان وحلفا ولكل قبيلة منهم اصطلاح يخالف ما عند الاخرى فلا يفهمون مَن ليس من قبيلتهم. فمن اين اتصلوا الى هذه اللغة ومنذ كم سنة هي موجودة. ومن الذي انشأها وهل توجد كتب لتعلُّمها

ج. اللغة التي يتكلمها هؤُلاء البرابرة والاصح ان يقال هؤُلاء النوبيون هي اللغة النوبية لا لغة البربر وهي قديمة جدًّا لا يعرف لها تاريخ واقدم ما يعرف من مخطوطاتها كتب بالحروف اليونانية تشبه الكتابة القبطية وقد كتبت في القرون الوسطى وهي مكتوبة غالبًا على الرقوق وموضوعها سيَر القديسين اشهرها كتاب مخطوط وُجد قرب ادفو واشتراهُ المتحف البريطاني سنة ١٩٠٨. وقد ذكر ابن البطريق بطريرك الاسكندرية الكتابة النوبية بين انواع الكتابة الستة التي قال انها كانت شائعة بين الشعوب الحامية وذلك سنة ٩٣٠ للميلاد اي منذ نحو الف سنة. و يعرف لهذه اللغة ثلاث لهجات الآن اولها اللهجة الشمالية او لغة بني كنز او المتوكي و يتكلمها النوبيون (البرابرة) من اصوان الى وادي العرب ولعلها من زمن ديوقلتيانوس. وثانيها لغة المحي او المريسي يتكلمها النوبيون من كرسكو الى وادي حلفا وثالثها اللغة الجنوبية او اللسان الدنقلاوي وهو شائع في مديرية دنقلا من وادي حلفا الى جبل دجا قرب مروي. واللغة الاولى مماثلة للثالثة ولكن الثانية تختلف عنهما كثيرًا وتشبه لغة كردوفان. ومن الكتب الموضوعة لتعلم النوبية كتاب لبسيوس باللغة الالمانية (طبع في برلين سنة ١٨٨٠) وفي رحلة بركهرت كلام كثير عنها وكثير من معجمها

(٢) الارضة

ومنهُ. يوجد في حلفا و بعض بلاد السودان نوع من الحشرات يشبه النمل ويسمى قرده يأكل الخشب والجلد والثياب ما عدا

الاشياء الصلبة مثل الحديد وما اشبه . ويتلف ما يسطو عليهِ حالاً . فهل لهذه الحشرة دواء يمنعها ويميتها

ج . نرجح ان المواد القطرانية تميتها ومن المحتمل انها تهرب من رائحتها . ومن المحتمل ايضاً ان يكشف لها مرض فطري ينتشر فيها ويميتها اذا بحث عنهُ بحثاً علمياً

(٣) وجودها في القطر المصري

ومنهُ . لماذا لا توجد هذه الحشرة في القطر المصري ما عدا اصوان

ج . توجد فيهِ واسمها الارضة وقد شاهدناها في بلدة الشقا قرب نشرت من مديرية الغربية وهي كثيرة هناك تتلف خشب البيوت

(٤) مجلدات المقتطف

منفلوط . حسن بك يونس عمدة منفلوط . لاحظنا ان اجزاء المقتطف ليست على وتيرة واحدة في تمير اجزائها فمثلاً نجد النمرة في بعض المجلدات متسلسلة من ١ الى ١٢ وفي البعض نجد السنة مقسومة الى قسمين مثل السنة الحاضرة فان الستة الاجزاء الاولى وضعت لها الاعداد من ١ الى ٦ ومن اول يوليو كررت الاعداد من واحد فصاعداً فما سبب ذلك

ج . لما رأينا انهُ صار يصعب تجليد اجزاء السنة الواحدة كلها في مجلد واحد قسمناها الى مجلدين فجعلنا اجزاء الاشهر الستة الاولى في مجلد واجزاء الاشهر الستة الاخيرة في مجلد آخر وجعلنا لاجزاء كل مجلد اعداداً على حدتها

(٥) التاريخ الهجري

تبريز . السيد علي ثقة الاسلام . المعروف بين موءرخي المسلمين وغيرهم ان اول تاريخ الهجرة مطابق لسنة ٦٢٢ من تاريخ المسيح وان اول هذا التاريخ من ميلاد المسيح . وابو الفدا صاحب تاريخ المختصر جعل اول الهجرة مطابقاً لسنة ٦٣١ من ميلاد المسيح فما هو سبب هذا الاختلاف وهل كان من بدء التاريخ المسيحي خلاف في اول الامر والاَّ فكيف خفي هذا الامر على موءرخ محقق مثلهُ وقد كان سلطاناً مبسوط اليد والعلم ومملكتهُ كان فيها قسيسون ورهابين وكان من حقهِ الفحص والتنقيب

ج . ان مسيحيي سورية كانوا يستعملون حساب انطاكية الذي اشار بهِ بنودورس الراهب القبطي وبناهُ على تاريخ يوليوس الافريقي بعد ان حذف عشر سنوات من المدة التي بين الخلق والتجسُّد لكي تسهل قسمة السنين الباقية على ١٩ . والظاهر ان هذه السنوات العشر اضيفت الى التاريخ المسيحي عند السوريين لكي لا تنقص سنو التاريخ فزادت السنون عندهم من بدء التاريخ المسيحي الى بدء التاريخ الهجري عشر سنوات . هذا ما امكننا استنتاجهُ بالبحث ولم نرَ لاحد

حتى الآن بحثاً في هذا الموضوع

(٦) نوطة المزامير

مصر . الخواجه جسبر فارحي . من المعلوم ان مزامير داود هو السفر الذي جُمعت فيهِ آيات الترتيل التي كانت تتلى في بيت المقدس باللغة العبرانية على ضرب الموسيقى كالناي والزمر والشبابة فهل كان حينئذٍ لهذه التراتيل نوطات اصولية مثل النوطات الموسيقية الاوربية الموجودة الآن

ج . كلاَّ لان النوطات الموسيقية استنبطها هكبلد الذي توفي سنة ٩٣٠ للميلاد اي بعد صاحب الزبور بنحو الفي سنة

(٧) الصور الملونة

قليوب . الدكتور امين نسيم . نرى في كتب التشريح والجراحة صوراً ملونة بالوان مختلفة وقد تجمع الصورة الواحدة الواناً كثيرة فترى الشريان ملوناً بالاحمر والوريد بالازرق والعصب بالاصفر وباقي الاعضاء باللون الاسود وقد تكون الصورة من هذه الصور صغيرة لا تزيد مساحتها على ١٢×٦ سنتي فكيف تطبع كذلك

ج . ترسم الصورة اولاً ويرسم الاحمر منها على قطعة من النحاس او التوتيا في المكان الذي يقع فيهِ في الصورة الكاملة . والازرق على قطعة اخرى والاصفر على قطعة غيرها وهلمَّ جرًّا . ثم يطبع الورق عن الصورة الاولى بالحبر الاحمر فتنطبع عليها الاجزاء الحمراء فقط ويطبع بعدها عن الصورة الثانية بحبر ازرق فتنطبع عليها الاجزاء الزرقاء وهلمَّ جرًّا الى ان يتم طبع الصورة كلها . ولا بدَّ من دقة تامة في حفر اجزاء الصورة وطبعها

(٨) المولود السباعي

نوڤاهور زنتي بالبرازيل . الخواجه خليل اسطفان . قلتم ان المولود السباعي يمكن ان يعيش اذا اعتني بتربيتهِ . فبدون شك انهُ يولد ناقصاً فما هو النقص الذي يكون فيهِ

ج . تكون اعضاؤُهُ كلها كاملة لا نقص فيها ولكن بعضها لا يكون قد بلغ درجة كافية من النمو لجعلهِ يلتقم الثدي مثلاً ويهضم اللبن بسهولة ويحتمل تقلبات الهواء ولذلك يعتنى بتدفئتهِ وتغذيتهِ فيعيش

(٩) برد الشتاء وحر الصيف

ومنهُ . يقال انهُ اذا كان فصل الشتاء غزير الامطار وشديد البرد فالصيف الذي يعقبهُ يكون شديد الحر والعكس بالعكس فما تعليل ذلك

ج . الذي ذكرتموهُ غير مضطرد . وغزارة المطر واشتداد البرد والحر متوقفة على ما يحدث في الشمس من الهيجان وهذا الهيجان لا تعرف مواعيدهُ ولا القواعد التي يجري عليها ولكن يقال بنوع عام انهُ مرتبط بما يظهر على وجه الشمس من الكلف او ان هذه الكلف هي نتيجة الهيجان في الشمس وانها تزيد وتنقص في ادوار متساوية كل دور

منها نحو ١١ سنة . وقد يكون للسيارات علاقة بهيجان الشمس في قربها و بعدها عنها ولكن لما كان ميعاد الهيجان غير مرتبط بفصول السنة فقد يتفق ان يبرد الشتاء ويبرد الصيف ايضاً كما يتفق ان يبرد الشتاء و يحتر الصيف

(١٠) ختن الاولاد

ومنهُ . هل يقدر كل طبيب على ختن الاولاد

ج . نعم

(١١) مد الاسلاك البرقية

فراشة . شيخ العرب ابو هاشم علي قريط . متى مدَّت الاسلاك البرقية في البحر واين

ج . مدَّ اول سلك في هغلي بكلكتا وذلك سنة ١٨٣٩ وكان نحاساً ملبَّساً بالزفت والقطران ثم مدَّ سلك من الحديد ملبس بالكتابرخا في نيويورك باميركا سنة ١٨٤٧ وفي السنة التالية مدَّ سلك بين نيويورك ونيوجرزي وسنة ١٨٥٠ مدَّ سلك بين انكلترا وفرنسا وسنة ١٨٦١ مدَّ سلك بين مالطة والاسكندرية وسنة ١٨٥٧ حاولت شركة مدَّ سلك بين انكلترا واميركا فلم تفلح ثم حاولت ذلك ثانية في السنة التالية فافلحت ولكن سلكها تعطَّل بعد قليل . واول سلك نجح نجاحاً تامًّا بين اوربا واميركا تمَّ مدُّهُ سنة ١٨٦٦ وكانت اجرة العشرين كلمة الاولى حينئذٍ عشرين جنيهاً

(١٢) ترعة بناما

مصر . احمد افندي امين . كم بلغت نفقات شركة بناما قبلما اشترت الحكومة الاميركية حقوقها ولماذا لم تتم عملها

ج ٥٢ مليون جنية ولم تتم عملها لانها كانت قاصدة ان تجعل الترعة عميقة حتى تمر السفن فيها من الاوقيانوس الواحد الى الاوقيانوس الآخر مباشرة كما تمرُّ في ترعة السويس من بحر الروم الى البحر الاحمر ولكنها وجدت بعد ان انفقت هذا المبلغ الطائل من المال ان ذلك ضرب من المحال او ان نفقاتهِ تزيد على مئة مليون جنيه فعجزت عنهُ . اما الحكومة الاميركية فمرادها ان تجعل الترعة ذات اهوسة عالية ترتفع السفن الى كل هويس منها بارتفاع الماء في الهويس (الحوض) الذي قبلهُ كما في الترعة الجانبية في خزان اصوان و بذلك تقل نفقات حفر الترعة

(١٣) ثمن امتيازها

ومنهُ . بكم اشترت الحكومة الاميركية حقوق الشركة الفرنسوية

ج . بثمانية ملايين من الجنيهات اي مئتي مليون فرنك واشترت المنطقة التي تمر فيها الترعة من جمهورية بناما بمليوني جنيه وربما افردنا لوصف هذه الترعة مقالة خاصة في الجزء التالي من المقتطف

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر دسمبر

	يوم	ساعة	دقيقة	
البدر	٦	٤	٥٢	صباحاً
الربع الاخير	١٢	٧	٤٦	مساءً
الهلال	٢٠	٥	٤٠	"
الربع الاول	٢٨	٨	٤٧	"
القمر في الحضيض	٧	٣	٠٠	صباحاً
" " الاوج	٢٢	٤	٦	"

السيارات

عطارد نجم المساء في اوائل الشهر
الزهرة نجم الصباح الشهر كلهُ
المريخ وزحل يريان الليل كلهُ
المشتري نجم الصباح الشهر كلهُ

تلغراف شرمن

اشرنا الى هذا التلغراف في باب الاخبار العلمية في الجزء الماضي وقد جاءتنا مجلة ناتشر بعد ذلك وفيها صورة قارب مجهز بآلة هذا التلغراف وفيها تلفون ايضاً فيمكن نقل الاشارات الكهربائية بها ونقل الكلام وقد نجح المخترع في نقل الاشارات والكلام من غير اسلاك مسافة ميل ونصف . والاجزاء الجوهرية في الآلة التي ترسل الصوت بطرية ولفَّة ومكروفون وقطبان كهربائيان يغوصان في الماء او يطمران في الارض واللفة مؤلفة من اسلاك نحاس ثخينة ملفوفة حول قضيب من الحديد اللين فاذا تكلم احد في الميكروفون فاهتزازهُ يهيج مجرًى كهربائياً قويًّا تزيدهُ اللفة قوة . والاجزاء الجوهرية في الآلة التي تستلم الصوت قطبان يتأثران بالمجرى الكهربائي ويوصلانهِ الى التلفون وكلٌّ من الالتين يصلح لارسال الصوت ولاستقبالهِ

جوائز نوبل

(١) جائزة الطب منحتها مدرسة الطب في ستكهلم للدكتور الفر غلسترند استاذ الرمد في جامعة ابسالا باسوج لاجل مباحثهِ الفسيولوجية في البصر

(٢) جائزة الطبيعيات منحتها اكادمية العلوم الملكية في ستكهلم للدكتور دلي ڤين استاذ الطبيعيات في جامعة ورزبرج في باڤاريا لاجل مكتشفاتهِ في نواميس الاشعاع

(٣) جائزة الكيمياء منحتها اكادمية العلوم الملكية لمدام كوري استاذة الطبيعيات في

جامعة باريس (السربون) لاجل اكتشافها العنصرين الكيماويين الراديوم والبولونيوم وبحثها في خواصهما الكيماوية . وقد نالت هذه السيدة مع زوجها المتوفى نصف جائزة نوبل في الطبيعيات سنة ١٩٠٣ لاجل بحثهما في اشعة بكرل

(٤) جائزة فنون الادب منحتها اكادمية اسوج الملكية في ستكهلم لموريس مترلنك

(٥) جائزة السعي في ما يؤيد السلم يرجح انها لا تمنح قبل ١٠ دسمبر اي يوم تذكار وفاة نوبل والموكل بمنحها مجلس النواب في عاصمة نروج

تمثال اڤوغدرو

نصب تمثال من البرنز لاڤوغدرو الكيماوي في مدينة تورين واحتفل بكشفهِ في ٢٤ سبتمبر الماضي ورأس الحفلة ملك ايطاليا وحضرها كل الكيماويين الايطاليين المشهورين وغيرهم من نواب الجمعيات العلمية

صور الفيوم

وصف الاستاذ فلندرس بتري صوراً وجدت في مدافن هوارة شرقي الفيوم فقال كانت العادة في عهد البطالسة ان تصنع صورة وجه الميت من الجبس وتطلى بالذهب ثمَّ شاع تصوير الناس على الجنفيص كما يصورن الآن بالالوان الزيتية وكانوا يعلقون صورهم في بيوتهم فاذا مات الواحد منهم اخذوا صورتهُ من بيتهِ ودفنوها معهُ . ويظهر من شكل هذه الصور ان السكان كانوا خليطاً من المصريين والسوريين واليونانيين ثم كثر وجود الرومانيين بينهم وهم من قواد الجيش وبعد ذلك صار بينهم اناس من امم اوربية اخرى كالاسبانيين ونحوهم دلالة على ان الفيوم كانت واسعة التجارة يقصدها الناس من كل البلدان

اكبر الهبات العلمية

وهب المستر كارنجي المثري الاميركي الشهير خمسة ملايين من الجنيهات للمعهد المسمى باسمهِ ومدارهُ على تقدُّم المعارف ونشرها في الولايات المتحدة . كذا فليكن الكرم وبمثل ذلك فليتنافس الاغنياء

تولُّد الجرذان

كثر الاهتمام بامر الجرذ الاسمر لشدة ضررهِ بالزراعة ولانهُ واسطة لنقل ميكروب الطاعون . فوُجد بالبحث ان مدة حمل الانثى ٢٣ يوماً ونصف يوم الى ٢٥ يوماً ونصف يوم وانها تلد خمس مرات الى ست في السنة ويبلغ عدد اجرائها كل مرة من ستة الى تسعة عشر والمتوسط ١٠ الى ١١ . والجرذان المحفوظة للبحث في طباعها تأكل نصف صغارها والانثى هي التي تفعل ذلك غالباً

ماسة كبيرة

وجدت ماسة ثقلها ١٧٥ قيراطًا حيث وجدت الماسة المسماة كوكب الجنوب في بلاد برازيل ووزن تلك الماسة ٢٥٥ قيراطًا وقد وجدت هناك ماسة ثالثة وهي ماسة درسدن وثقلها ١١٩ قيراطًا ونصف قيراط. والماسات الثلاث مستطيلة الشكل محدبة السطوح. وقد وجدت في برازيل ماسة اكبر منها ثقلها ٦٠٠ قيراط ولكن الذي وجدها ارتاب في كونها ماسًا فوضعها على سندان وضربها بمطرقة كبيرة ظانًّا انها لا تكسر اذا كانت ماسًا فتكسرت قطعًا صغيرة ولم يجمع من قطعها الَّا ما وزنهُ مئة قيراط

نظارة الزراعة في اميركا

شرعت الحكومة الاميركية تهتم بالزراعة في بلادها منذ سنة ١٨٣٩ وذلك انها انفقت تلك السنة مئتي جنيه على الاحصاءات الزراعية ثم زاد اهتمامها بالزراعة وانفاقها عليها حتى بلغ كل ما انفقتهُ في هذا السبيل الى سنة ١٩٠٠ اكثر من تسعة ملايين من الجنيهات وبلغ ما انفقتهُ من بداءة سنة ١٩٠١ الى آخر السنة المالية الماضية ١٨٠٠٢٤١٢ اي اكثر من ثمانية عشر مليونًا من الجنيهات انفقتها في عشر سنوات على الامور الزراعية ففي سنة ١٩٠١ انفقت ٦٦٠٨٥٣ جنيهًا فقط والمبلغ المعين للانفاق هذه السنة ٣٠٩٤١٢٧ جنيهًا او اكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات. وكان عدد المشتغلين في مصلحة الزراعة منذ عشر سنوات ٣٣٨٨ وعددهم الآن ١١٤٨٠ والمبلغ المعين للانفاق في العام المقبل يبلغ ٣٣٨٠٠٠٠ اي اكثر من ثلاثة ملايين وثلث من الجنيهات

ويقول الاميركيون ان الاموال التي انفقوها وينفقونها على الاهتمام بالزراعة هي رأس مال كبير الربح. نعم انهم انفقوا في السنوات العشر الماضية ١٨ مليونًا من الجنيهات ولكن حاصلاتهم الزراعية في هذه السنوات العشر بلغ ثمنها ستة عشر الف مليون من الجنيهات وقد بلغت قيمتها في سنة ١٩١٠ وحدها الفًا وثمانمئة مليون جنيه وكانت قيمتها منذ عشر سنوات ثمانمئة مليون جنيه فزادت الف مليون جنيه في مدة عشر سنوات والفضل الاكبر في ذلك لاتقان الزراعة واتقاء الآفات التي تتلفها

ولا يخفى ان سكان الولايات المتحدة الاميركية نحو ثمانية اضعاف سكان القطر المصري فاذا ارادت الحكومة المصرية ان تنفق على مصلحة الزراعة على نسبة ما تنفقهُ اميركا وجب ان تنفق اكثر من اربع مئة الف جنيه في السنة واذا فعلت ذلك ونجَّت موسمًا واحدًا من فتك دودة القطن اوفت البلاد في سنة ما تنفقهُ في عشر سنوات

القطن في الهند

اخذت حكومة الهند تهتم باصلاح القطن الذي يزرع فيها وذلك بانتقاء التقاوي وبيعها للمزارعين وزرع بزر القطن الاميركي والقطن المصري ويقال ان زرع القطن الاميركي الاصلي نجح اما القطن المصري فجرّبت زراعتهُ حيث تروى الارض بالترع وظهرت آثار النجاح

ميزانية الحكومة المصرية

قدّرت ميزانية الحكومة المصرية لسنة ١٩١٢ هكذا

الايرادات	١٥٩٠٠٠٠٠	جنيه مصري
المصروفات	١٥٤٠٠٠٠٠	«

وقد قدّر ان ايرادات الحكومة ستزيد اكثر من اربع مئة الف جنيه عمَّا كانت عليهِ عام ١٩١١ كما ترى في هذا الجدول

اموال الاطيان	تزيد	٠٦٠٠٠٠	جنيه
عوائد الاملاك	«	٠١١٠٠٠	«
المحاكم المختلطة	«	٠٤٠٠٠٠	«
السكك الحديدية	«	١١٥٠٠٠	«
البوسطة	«	٠١٠٠٠٠	«
ايرادات متنوعة	«	١٠١٠٠٠	«
ايجارات املاك الميري	«	٠٥٥٠٠٠	«
ابواب اخرى	«	٠٢٧٠٠٠	«
والجملة		٤١٩٠٠٠	«

اما المصروفات فقدرت ١٥٤٠٠٠٠٠ كما تقدم وكانت قدرت سنة ١٩١١ بخمسة عشر مليونًا فقط فالزيادة اربع مئة الف جنيه يخرج منها مئة الف جنيه ادرجت في حساب المصروفات وادرج ما يقابلها في حساب الايرادات ولم تكن تدرج كذلك في الميزانية فتكون الزيادة الحقيقة في الايرادات ثلثمئة الف جنيه وفي المصروفات ثلثمئة الف جنيه ايضًا . ومن هذه الزيادة في المصروفات مئة الف جنيه ستعطى اعانة لمجالس المديريات و٢٩٥٧٧ لنظارة المعارف للانفاق على مدرسة المحاسبة والتجارة في القاهرة ومدرسة الزراعة في مشتهر والقسم الليلي التجاري في الاسكندرية وتوسيع نطاق التعليم العالي والتعليم الثانوي . و١٣٥٠٠ جنيه لمصلحة الصحة لانشاء ثلاث مستشفيات جديدة للرمد في المنصورة والزقازيق وبني سويف . و٦٢٧٢٣ لنظارة الاشغال اكثرها لصيانة المصارف وتنوير القاهرة وضواحيها وتوسيع دائرة مصلحة الزراعة

الاَّ ان الحكومة المصرية ستنفق في خلال سنة ١٩١٢ نفقات اخرى من اموالها الاحتياطية قدرت بمبلغ ١٧٣٧٠٠٠ جنيه ولكن المرجح ان ايراداتها تزيد على نفقاتها العمومية مليون جنيه او اكثر فترد الى المال الاحتياطي نصف ما تنفقهُ منهُ او ثلثيهِ

والنفقات التي تنفقها من المال الاحتياطي لا تضيع بل هي رأس مال ذو ريع سواء انفقت على سكك الحديد او على الترع والمصارف او على المدارس والمستشفيات او على

النظافة والصحة العمومية لان كل ذلك يزيد عمران البلاد و يزيد ثروتها ودخل سكانها

قرص الشمس

ظهر من رصد الشمس وتصويرها مدة السنوات الخمس الماضية من سنة ١٩٠٥ الى سنة ١٩٠٩ ان قرصها غير مستدير استدارة تامة اي انها ليست كرة متساوية الاقطار بل ان قطرها القطبي اطول من قطرها الاستوائي٠ والفرق بينهما يتغير من سنة الى اخرى كما ترى في هذا الجدول

السنة	زيادة القطر القطبي
١٩٠٥	٠٫٠٧ "
١٩٠٦	٠٫١٧ "
١٩٠٧	٠٫٣١ "
١٩٠٨	٠٫٢٩ "
١٩٠٩	٠٫١٣ "

ويظهر من ذلك ان القطر القطبي كان دائمًا اطول من القطر الاستوائي وان زيادتهُ عليهِ تزايدت رويداً رويداً الى ان بلغت ٣١ في المئة من الثانية ثم نقصت رويداً رويداً وقد بلغ الفرق سنة ١٩١٠ خمسة في المئة من الثانية وذلك من اول ابريل الى اغسطس ثم قلَّ في سبتمبر واكتوبر فبلغ واحداً وعشرين في المئة من الثانية ٠ فمن المحتمل ان شكل جرم الشمس يتغير وان لتغيرهِ هذا علاقة بظهور الكلف على وجهها

نيقولا يانوفتش

توفي المسيو نيقولا يانوفتش الذي اكتشف القطن المصري المعروف باسمهِ ٠ ولد في مكدونية سنة ١٨٣٩ وجاء القطر المصري في حداثتهِ وشرع يبحث في القطن المصري لاصلاحهِ منذ سنة ١٨٦٢! فاختار منهُ صنفاً خاصاً سنة ١٨٩٧ ظهرت مزيتهُ على غيرتهِ من الاصناف فسمي باسمهِ لكنهُ لم يقف عند هذا الحد بل اتصل سنة ١٩٠٣ الى توليد النوع الاسمر من قطن اليانوفتش٠ وكان لا يزال يوالي البحث لتحسين هذا الصنف لما وافاهُ القدر المحتوم في التاسع من الشهر الماضي٠ ولا بد من ان يأسف كل ارباب الزراعة على وفاتهِ

مرصد الخرطوم

كتب بعضهم الى مجلة ناتشر يشير باقامة مرصد فلكي في الخرطوم او على تلال ابو مرو وهي على ثمانية اميال من ام درمان وتعلو عن النيل نحو مئة متر ومما قالهُ في هذا الصدد ان الخرطوم اقرب الى خط الاستواء من كل مكان انشئ فيهِ مرصد وهي مرتفعة عن سطح البحر نحو ٣٨٥ متراً والجو فيها صاف غالباً فترى منها الاماكن البعيدة بسهولة . والرطوبة قليلة لا يزيد متوسطها في السنة على ٣١ في المئة ويشتد الحرُّ فيها ولكن قلة الرطوبة تجعلهُ محتملاً ويحدث فيها الهبوب صيفاً ولكن

مدتهُ قصيرة جدًّا · والمواصلات سهلة بينها وبين اوربا فيأتي البريد منها واليها مراراً في الاسبوع ويصل منها الى لندن في تسعة ايام الى عشرة

الاستاذ الفرد بينه

توفي الاستاذ الفرد بينه العالم السيكولوجي وهو في الرابعة والخمسين من عمرهِ وكان من اكثر علماء الفسيولوجيا السيكولوجية اشتغالاً وبحثًا ولهُ مؤلفات كثيرة في هذا الفن

فراءٌ جلودها صمغ

اشار بعضهم بنزع جلود الفراء وابدالها بالصمغ الهندي (اللستيك) على الصورة التالية وقاية لها من العث وذلك بان تخاط الفراءُ بعضها ببعض وتبسط في اناءٍ واسع مستوي القاع جلودها الى الاسفل وشعرها الى الاعلى ويملأُ الاناءُ ماءً ويوضع في مكان مبرَّد حتى يجلد الماءُ ثم يذاب الثلج الذي تحت اسفل الجلد حتى يظهر ويقطع بمنشار حتى تظهر كعوب الشعر التي كانت عالقة بالجلد فتدهن بمذوب الصمغ الهندي مراراً حتى يتكوَّن من الصمغ رق مكان الجلد الذي نزع ويذاب الثلج اخيراً فتظهر الفروة وجلدها صمغ هندي لا يلحسهُ العث

شعور الضرير

لا يخفى ان الضرير الذي لا يرى شيئًا يشعر بما يدنو منهُ فاذا ادنيت يدك منهُ شعر بها ولو لم يلمسها واذا دنا هو من شيءٍ شعر بهِ قبل وصولهِ اليهِ . وقد اختلفت الاقوال في كيفية هذا الشعور وامتحنهُ كثيرون من الباحثين واختلفوا في تعليلهِ على مذاهب شتى فقال بعضهم ان وجه الاعمى شديد الشعور فيشعر بالاجسام قبل ان يلمسها وقال غيرهم ان دنو الاعمى من الاجسام يغير درجة الحرارة امامهُ فيشعر بذلك وقال آخرون ان هذا الشعور متوقف على اختلاف ضغط الهواء ولكن ظهر الآن من بحث المسيو تروشل في معهد العميان بباريس ان هذا الشعور سمعي فان سمع الاعمى للاصوات يختلف باختلاف الاجسام التي يدنو منها وقربها وبعدها فيشعر بها

دواءٌ لداء النوم

جاءَ من يوهنسبرج بالترنسفال ان الدكتور مهنرتو الالماني وهو من رصفاء الدكتور كوخ اكتشف دواءً لداء النوم وجربهُ في نفسهِ فانهُ طعم نفسهُ بالجراثيم التي تسبب داءَ النوم فاصيب بهِ وفقد الشعور سنة الاَّ ان الدواءَ شفاهُ · وكان عازمًا ان يتلو خطبة في هذا الموضوع في الجمعية الطبية هناك

الحرب بين الدولة العلية وايطاليا

٢٠ اكتوبر · استمر القتال في بنغازي ودرنة

٢٣ · هجمت الجنود العثمانية والاعراب

الموالية لها على مواقع الايطاليين حول مدينة طرابلس واشتد القتال بين الفريقين وانتصر بعض سكان الواحات للجنود العثمانية فاحاطوا بفصيلة من الاي البارسلياري وقتلوا منهُ نحو ٣٠٠ جندي واستولى العثمانيون على بعض المواقع فاصدر الجنرال كانيفا امراً بقتل كل من يحمل سلاحاً من الاعراب فكثر القتل حتى لقد قيل ان الايطاليين قتلوا نحو ٤٠٠٠ عربي بينهم بعض النساء والاطفال

٢٤ . اعلنت الحكومة الايطالية استيلاء جنودها على درنة و بنغازي بعد قتال عنيف وجاء في الاخبار العثمانية ان خسارة الايطاليين كانت بليغة جدًّا وايَّدت الاخبار الاخرى تهدم ابنية كثيرة في بنغازي منها كنيسة المالطيين والقنصلية الانكليزية حيث قتل عدد من الرعايا الانكليز

٢٦ . هجم العثمانيون مرة اخرى على مواقع الايطاليين في طرابلس واستولوا على بعض الحصون ودخل بعضهم شوارع المدينة وقد بلغت خسارة الايطاليين في هذه الموقعة وفي موقعة ٢٣ اكتوبر حسب روايتهم ٣٧٤ قتيلاً وجاء في روايات مكاتبي الجرائد الاجنبية ان عدد المهاجمين من الاتراك والعرب كان بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ مقاتل

٢٨ . اعلنت الحكومة العثمانية حدوث معركة في درنة كان الفوز فيها للعثمانيين فبلغت خسارة الايطاليين ٥٠٠ قتيل و١٨ مدفعاً

٣١ . نفت الحكومة الايطالية عدداً كبيراً من اهالي مدينة طرابلس وضواحيها

٣ نوفمبر . دعت الحكومة الايطالية رديف ١٨٨٩ الى حمل السلاح

٤ . لاحت بعض البوارج الايطالية في الارخبيل وسافرت نجدات كبيرة من ايطاليا الى ساحة القتال

٥ . امضى ملك ايطاليا امراً عالياً بضم طرابلس و بنغازي الى حكومتهِ وابلغ ذلك الى الدول المحايدة

٦ . وصل الجنرال فريجوني الى طرابلس ومعهُ ١٥ الف مقاتل . سافرت البعثة الاولى المصرية للهلال الاحمر

١٠ الى ٢٦ . كان القتال متواصلاً حول طرابلس و بنغازي ودرنة والنصر حليف العثمانيين في جميع المواقع . اما طرابلس فبقيت محصورة الى ان جاءت النجدات الى الايطاليين فحدثت موقعة كبيرة في ٢٦ نوفمبر اضطر فيها العثمانيون الى اخلاء بعض الحصون والمواقع التي احتلوها قبلاً وقد بلغ الجيش الايطالي في ساحة الحرب ٨٣ الف مقاتل منهم ٤٠ الفاً في مدينة طرابلس . وعزمت ايطاليا على ارسال نجدة مؤلفة من ٢٥ الف مقاتل واخذ اسطولها يمخر تجاه الدردنيل

فهرس الجزء السادس من المجلد التاسع والثلاثين

٥٢١ الصين وثورتها (مصوَّرة)
٥٢٩ الشرق والغرب
٥٣٥ حركة اوربا السياسية . لانيس افندي الخوري وابرهيم افندي خيرالله
٥٤٣ درس للمرسلين
٥٤٧ مصيف مصر
٥٥٢ احتلال بحر الغزال . للدكتور امين المعلوف (مصوَّرة)
٥٥٦ الكيمياء والقوة
٥٦٤ معهد ركفلر
٥٦٩ جوهرة الهوى . لمصطفى افندي صادق الرافعي
٥٧١ الخلود . لنعوم بك شقير
٥٧٢ السلطان سليم العثماني والشعر العربي . للامير شكيب ارسلان
٥٧٤ حِكَم الاوربيين
٥٧٨ الطعام الصحي
٥٨٢ التنازع والتعاون

٥٨٦ باب الزراعة * الموسم الماضي والموسم الحاضر . القطن . البزرة . الدورة الزراعية . انواع التربة واوصافها . المواسم المصرية
٥٩٤ باب الصناعة * ربح الصناعة والتجارة . انقان الصناعة . الصباغة
٥٩٩ باب المراسلة والمناظرة * نظر في معجم الحيوان
٦٠٢ باب تدبير المنزل * الوراثة والزواج
٦٠٥ باب المسائل * وفيهِ ١٢ مسالة
٦٠٩ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ٢٠ نبذة